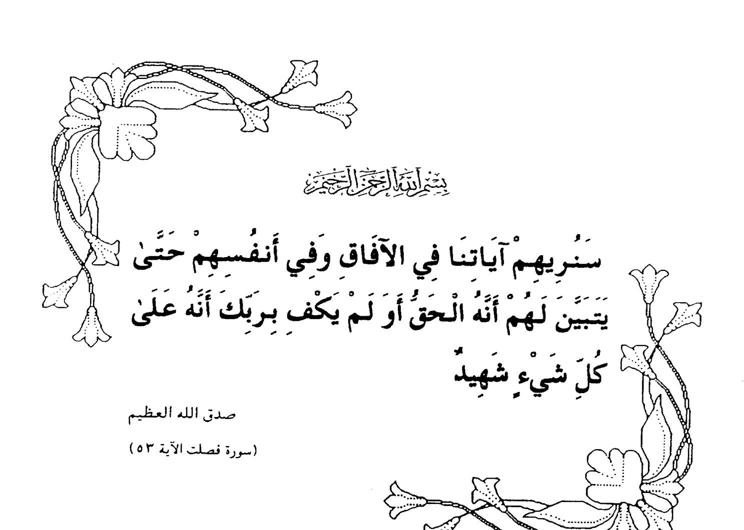


جامعة الزقازيق
كلية التربية النوعية

دراسات فى أدب الطفل ونصوصه



دكتور
حسام محمد علم
المحاضر
بكلية التربية النوعية



بسم الله الرحمن الرحيم

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

صدق الله العظيم

(سورة فصلت الآية ٥٣)

المقدمه

الحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آلهِ، وصحبه ،ومَنْ والاه

مهما يكنْ من أمرٍ بعدْ فالطفلُ هو النبتُ المأمولُ، وحلمُ الغد الصاعدِ الواعدِ الجُول، وثروةُ الحاضر، وعدةُ المستقبلِ الفاعلُ والمسؤول. . . في أي مجتمعٍ يخططُ لبناء الإنسان بناءً عقلياً وصحيًا وروحيًا وجدانياً.

إنني -لا أعدو الواقعَ- إذا قلتُ: إنَّ الأطفالَ بهجةُ الحياةِ، ومتعةُ النفسِ، وفلذاتُ الأكبادِ حيثُ قالَ فيهم سبحانه:-

﴿"المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيا﴾" سورة الكهف آيه (٤٦)

كما قالَ فيهم الرسولُ (ﷺ) "الولدُ من ريحانِ الجنة".

إنَّ اهتمامَ الدول والحكومات- بالطفولة في حاضرها، ومستقبلها-لنابعٌ من تحضُّرها، ومسايرتها للقفزات المذهلةِ التي يشهدُها عصرُ العولمة، والكونَنة؛ لذا فإنَّ الجهودَ المعاصرة تقدمُ -الآنَ- خارطةً استشرافيةً للطفلِ على مختلف مراحله، تزودهُ بما يحتاجُ إليه من رعايةٍ، واهتمامٍ كبيرين من أجل نموِّه نمّواً متوازناً يكفلُ له عطاءً متعادلاً بينَ حاجاته الأساسيةِ كالتعليم، والإشباع الفسيولوچى وما يحتاجُه من متطلباتٍ ضروريةٍ كالأدبِ والفنِ فكلاهما يسهمان في تقديمِ معطياتٍ روحيةٍ ووجدانية.

عوداً على بدءٍ فإنَّ الأثرَ الإيجابيَّ الذي يحققُه الأدبُ في عقل، وقلب الطفل لا يقلُّ أهمية عما تحققهُ النواحي الاجتماعيةُ والتعليميةُ. . من هنا فلقد أصبحَ أدبُ الطفل ضرورةً عصريةً ملحةً، وصارَ يخطو خطواتٍ واسعةً نحو الترسيخ والتأصيل خصوصاً بعدَ تضافرِ الجهود، ونشاطِ حركةِ التأليف في هذا الميدانِ الأدبي حيثُ وجدنا بعضَ الشعراءِ والأدباءِ قد تخصصوا في الكتابةِ للطفل.

هذا ولم يتوقفْ الإبداعُ عند هذا الحدِّ بل وجدنا بعضهم قد تمتع بخاصيةِ الانتخابِ والتمييزِ بهدفِ تقديمِ كلِّ ماهو نافعٌ، لكن ما يؤخذُ على هذهِ الفترة الحالية هو غيابُ بعضُ المتابعاتِ النقدية لما يكتبهُ شعراؤنا المعاصرون. . . صحيح رأينا بواكيرَ نهضةٍ نقديةٍ لكنها لم تتعدَ أكثرَ من دراسات إحصائية أو وصفية على يد

فدائرةُ البحث والتحليل لم تكتملْ بعد، ولم توفّ الإبداعاتُ المقدمةُ للطفل- حقّها من البحثِ والدرس؛ لذا فقد كانَ الباعث للقيام بهذهِ الدراسةِ وموضوعها:

"دراسات في أدب ونصوص الطفل"

مهما يكنْ من أمرٍ فإنني تابعت ما يربو عن عشرة شعراء قدموا مئات النصوصِ الشعريةِ للأطفال كان منها ما أثار أنتباهي فوجدتني مدفوعاً للتعاملِ معها بشكلٍ تحليلي.

هذا ولا تزعمُ الدراسةُ لنفسها إنها أحصت كلّ شيئ، وأحاطت به ذكراً. لكنها ترى أنها تنطلقُ من رؤيةٍ نقديةٍ صافيةٍ تهدفُ إلى تقديم كلّ ما ينمي- في صغارنا- الإحساسَ الجميل، والتذوق الجمالى للكون والحياة.

من هنا جاء المحتوى على أربعة فصول.

الأول عنوانه: (المفاهيم الثلاثة الاتحادية الأدب، والتربية ،والطفولة)

وفيه تناولتُ كلّ مفهومٍ مما سبقَ على حده، وعلاقته مع غيره ثم تطرقتُ إلى بيانِ مهمةِ الأدبِ في حياتنا الانسانية.

الثانى عنوانه : "الطفولة في التراث الأدبى"

حيثُ تناولت فيه النصوصَ الأدبيةَ القديمة التي قدمت للطفل بشكلٍ غيرِ مباشرٍ، ثم رصدتُ أهم ملامحها، وقسماتها الموضوعية.

الثالث عنوانه : "من السمات البنائية لشعر الطفل" وفيه ركزتُ الحديثَ علي أمرين الأول :الألفاظ ودورها في البناء الشعرى،

الأخر: الصورةُ وسماتُها في شعرِ الطفلِ .

الآخير: عنوانه الخصائص الموضوعية لشعر الطفل

وفيه قسمتُ أغلب ماوصلَ إلينا من شعرٍ للطفلِ في موضوعاته الخاصةِ التي يندرجُ تحتها، مع إعطاء تلميحات فكريةٍ سريعةٍ لكلّ موضوعٍ على حده.

والله أسأل أن ينفعَ- بهذا العمل- صغارنا ويهدى كبارنا إلى سواءِ السبيل

واللـــــهُ الموفـــــقُ

محتوى الكتاب

الفصل الأول

المفاهيم الثلاثة الاتحادية

الأدب • الطفولة • التربية



أولاً: مفهـــوم الأدب:

في مفهوم الأدب تعددُ الرؤى، وتنوعُ الأبعاد، والجوانب، وتتشابك الدلالات، لذا فإننا سنعرضها على شتى جوانبها، لعلنا نرسمُ خارطةً معرفيه ودلاليةً لها...

أولاً: الجـانب اللغوي

إننا لـمَّا نولي وجوهنا شطر معاجمِنا اللغويةِ لنستنطقَها نجدُها عيَّت جواباً وقصرت عن تفسيرِ اللفظةِ تفسيراً فنياً، واكتفت بالمعنى اللغوي لها.

وذاك هو صاحبُ اللسانِ يقولُ في **مادة أدب**:

إنّ الأدبَ الذي يتأدّبُ به الأديبُ من الناس، سُمّيَ أدباً لأنّه يأدبُ الناسَ إلى المحامدِ، وينهاهُمْ عن المقابحِ. وأصلُ الأدب: الدُّعاءُ، لأنه يدعو صاحبَه إلى المحامد، ومنه قيل للصَّنيع الذي يُدْعَى إليه الناسُ: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَة..

وهنا أقولُ: إنه إذا كان هذا هو تصورُ ابنِ منظورٍ بأن الأدبَ هو الدعوةُ إلى المحامدِ، والأخلاقِ الكريمةِ فإنَّ الأدبَ قد اقترب حثيثاً من مدلوله فتضمن فكرة الالتزام، إذ أن الأديب "ليس المعبرَ عن مكنونِ الضمائر، ومشوبِ العواطف بأسلوبٍ إنشائيٍ أنيقٍ، مع الإلمام بالقواعدِ التي تعينُ على ذلك"[1] كما يقولُ بعضُ المحدثين اليوم- وإنما سُمّي الأديب أديباً لأنه يأدَبُ الناسَ إلى المحامدِ، وينهاهم عن المقابحِ. هذا ولم يتوقفْ ابن منظور عند ذاك الحدِ من التصور، بل رأيناه يضيفُ أطرافاً من المعاني التي تتصلُ بكلمة أدب، ولكنها جُمَعتْ في عصورٍ مختلفةٍ، فأمست أشبه بمحيط الدائرة التي لايعرف أولها من آخرها:....

١-تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ط٥ صـ١٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٣٠م

فمثلاً يورد صاحب اللسان : أنَّ الأدبَ هو الظَّرْف، وحُسْنُ التناول، وهو مادخل معناه حلاوة الطبع، ثم يضيفُ قائلاً : وأدَّبه فتأدبَ : علمَّهُ، واستعمله الزّجاج في الله عز وجل فقال :-

وهذا ما أدَّبَ اللهُ تعالى به نبيَّهُ -(ﷺ)- ثم يقولُ [1]

وفلان قد استأدب بمعنى تأدب. ويقال للبعير إذا رُيِّضَ وذُلِّلَ: أديبٌ مؤدبٌ.. ومن معاني الكلمة ما يتصل بالطعام- عوداً- وقد أشارَ إليه صاحبُ اللسان فقال: الأدْبَةُ والمأدَبَة والمأدُبَةُ : كلُّ طعامٍ صُنِعَ لدعوةٍ أو عرسٍ. قال صخر الغيِّ يصف عُقاباً:-

كأنَّ قلوبَ الطيرِ في قَعْرِ عُشِّها نوى القَسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بعضِ المآدِبِ

وهنا يشبِّهُ الشاعرُ قلوبَ الطيرِ في وكر العُقاب بنوى القسْب أي التمر اليابس،الصلب النوى والآدبُ: الدَّاعي إلى الطعام. ولعل هذا ماثل في قول طرفة:

نحنُ في المشتاةِ ندعوا الجَفَلَى [2] لاتـــرى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

حيثُ يقول : إن دعوتنا عامةٌ بحيثُ لا يتخيرُ الداعي- للطعام- أحداً دونَ آخر وجمع "آدب" هنا أدَبَة، ككاتب وكَتَبَه. وبذلك يظهرُ المعنى المادي للفظة. وفي الحديث عن ابن مسعود قوله: إنَّ هذا القرآنَ مَأدَبَةُ اللهِ في الأرض، فتعلموا فتأدبوا - من مَأدَبَته، أي من مَدْعَاته - يؤكِّد أنَّ اللفظة انتقلت إلى المعنى الذهني.

هذا وقد قال عليٌّ كرمَ اللهُ وجهَهُ : أمّا إخواننا بنو أميَّة فقادةٌ أدَبَةٌ وأدب القوم على الأمر: جمعهم عليه، والجمع دعوة. قال أبو ذؤيب الهذلي:-

وكيفَ قتالي معشراً يأدِبُونكم على الحقِّ ألاَّ تأشِبُوه بباطِلِ [3]

١-لسان العرب مادة "أدب"

٢-الجفلى : عامة الناس.راجع ديوان طرفة تحقيق كرم البستاني دار صادت بيروت.

٣- تأشبوه : تخلصوه راجع الشعر الجاهلي د/محمد عبدالمنعم خفاجى صـ٢٨ دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨١م

وكذلك تأتي "أدْب" بمعنى الأمر العجيب.

يقول الأصمعي "جاء فلان بأمرٍ أدْب، أي عجيب مدهش، أوهو العجب والدهشة كقول ابن منظور بن حبّة الأسَدي-يصفُ أزبيّ الناقة أي سرعتها ونشاطها-"حتى أتى أُزْبِيُّها بالأدْب أي بالعجب:[1]

إننا بعد هذا العرض المعجمي للفظة أدب -عرفنا أنها جاءت بمعنى الدعوة سواءٌ أكانت ماديةً :- ممثلة في الدعوةِ إلى الطعام - كما مرينا- أو معنويةً ممثلةً في الدعوة إلى المحامد والأخلاق الكريمة، والنهي عن المقابح، كذلك تناولت معني والظرفِ، وحسن التناولِ، وحلاوةِ الطبع، والعجب بسكون الدال.

والآن- آن لنا أن نتساءلَ فنقولُ: هل هذا هو التطور الدلالي للفظة "أدب"!

لاشك أنّ الإجابة هنا تأتي بالنفي، لأنّ ما قدمناه ليس دراسةً دلاليةً أو صرفيةً جادةً،وإنما هو عرضٌ معجميٌ سريعٌ عرّفنا على بداياتِ تاريخيةٍ مجردةٍ لأصلِ الكلمة، فاللسانُ مثلُ غيره من المعاجم اللغوية -لايقدُم ترتيباً تاريخياً لاستعمالات الكلمة يمكنُ أن يوقفنا على التطور الدلالي للفظة، لكنه قدم صنوفاً من المعاني والصيغ في عصورٍ مختلفةٍ في سياقٍ واحد دونَ أدنى إشارةٍ إلى نسقٍ دلالي معين.!

ثانياً: الجانب الاصطلاحي

لعلّ الناظرَ المتأملَ فيما وصلَ إلينا من تعريفاتٍ اصطلاحيةٍ للأدب يرى أنها تتشعب في اتجاهين.

الأول : الاتجاه الفني "التقليدي"

١- لسان العرب مادة "أدب" والأزْبيُّ السرعة والنشاط

وهو يقومُ على أسسٍ فنيةٍ جماليةٍ تحددُ أطرَها مادّةُ الذوق، وترسمُ أبعادَها العاطفةُ، وتترجمها إيحاءاتٌ قويةٌ تكتسبُ دلالتها من الشخصية التي استخدمها..

مهما يكن من أمرٍ فالدكتور- طه حُسَيْن يقولُ في معنى الأدب:

"ألست إذا سمعتَ لفظ أدب الآن فهمت منه مأثورَ الكلامِ شعراً ونثراً وما يتصل به من العلوم والفنون التي تعتمدُ على فهمِه من ناحيةٍ، وتذوقِه من ناحيةٍ أخرى"[1]

فالواضحُ أنَّ الدكتور طه حُسَيْن قال شيئاً، لكنه لم يقلْ كلَّ شيءٍ هنا في هذا الصدد!.

وتأخذ دائرة العجب في استدارتها لمّا نرى علي أبو ملحم يأتي بتعريفٍ ويؤكدُ أنه تعريفٌ جامعٌ مانعٌ فيقول: "إن الأدب هو الكلامُ الفني الجميل الذي يصورُ الفكر والعاطفة" [2] وهذا تعسفٌ في رأيَ!- لأن الأدب كما يرى ابن خلدون-لاموضوعَ له إذ لا يمكن أن نضع له إطاراً نحصره فيه، نظراً لاتساعه فيقول:" إنه علمٌ لا موضوعَ له، وأن المقصود منه ثمرتُهُ، وهو الإجادةُ في فنيِّ المنثور والمنظوم، وحفظِ أشعارِ العربِ، وأخبارها، والأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف"[3]

إننا بالنظر إلى هذه التعاريف فإنها- كما يبدو- لا تفي بالدلالة على جميعِ خصائصِ المعرف، ولا تصل إلى أنْ تكونَ مايسمى بالتعريف الجامع المانع إذن فلنذهبْ إلى جانب آخر لعله يقدمُ لنا إضافةً جديدةً يمكنها أن تكشفَ النقابَ عن مفهوم الأدبِ، وتسجلَ قيمةً جادةً في إيضاحِ المفهوم...

١- الأدب الجاهلي صـ٢٨ دار المعارف
٢- على هامش الأدب صـ١٤٨
٣- مقدمة ابن خلدون طـ٧ صـ٥٧٣ بيروت سنه ١٩٨٨م

الثاني - الاتجاه النفسي الذى انتشر عند دعاة التجديد في الأدب في العالم العربي الحديث حيثُ يرون أنَّ الأدبَ "ظاهرةٌ اجتماعيةٌ لا يقلُّ أهميةً عن العلم أو عن اللغة في تحقيق التكامل النفسي الاجتماعى، وذلك بما تصطبغ به الآثار الفنيةُ من صبغةٍ فرديةٍ ذاتيةٍ " [1] وهو ليس سوى لحظةٍ تتوقفُ فيها عن مواصلة نشاطنا العملي طلباً للراحة، وتهيؤٌ للسير من جديد..." إننا نعودُ إليه لنتزودَ بما يضيئُ بعضَ مراحلِ هذا الرحيلِ الأعمى الذى كاد أن يدمرَ الإدراك الباطنيَ والخارجي على السواء"[2]

معنى ذلك أنه " عنوانُ نفسيةِ الشعوبِ، ومفتاحُ قلوبها، وبذلك يمتزج الشاعرُ بمجتمعه حتى يكونَ جزءاً لا يتجزأ منه، وحتى يعبرُ عن كلِّ خواطره الجماعية، وكل ما يموجُ به من أفكارٍ وأحاسيس، وذلك بما يقدمُ إليه من قيمٍ جديدةٍ تساعُد على تغييره وتشكيله.

فالأدب لا يصنعهُ الأديبُ لنفسه، وإنما يصنعه للجماعةِ التي يعايشُها إذ أن الأدب ذاتي في صدوره عن أحاسيس، ومشاعر صاحبه، وغيري في تصويره لمشاعرِ الناس وأحاسيسهم، وكلِّ مايمُر به مجتمعُهم من قيمٍ مختلفةٍ- فهو يتأثرُ بالحياة الخارجية؛ لأنَّ وعلاقاتِ التأثير، والتأثرِ قائمةٌ بينَ الأديبِ والمجتمعِ...

باختصار نقولُ : إنه صياغةٌ فنيةٌ لتجربةٍ بشريةٍ، ثم إن ماسبق يصبحُ قولاً مقبولاً طالما لا يتعارضُ مع عقلانيةِ الواقعِ، والحياةِ لكن مثارَ الاختلافِ هنا يكمنُ في مصداقيةِ التجربةِ الشخصيةِ التي تصدرُ عنها إذ يدخلون عليها مقاييسَ الصدقِ والكذب وهذا أمر غيرُ صحيحٍ؛ لأن الصدق والكذب نمطان أخلاقيان، ولا علاقة للأخلاق بالأدب؛ لأنه إن صح ذلك فإننا لا نقبل شعرَ

١- الأسس النفسية للإبداع الفني لمصطفى سويف المقدمة (ى) دار المعارف سنة ١٩٥٦م

٢- المصدر نفسه صـ٣٩

الملاحم الذي تختلطَ فيه الأساطيرَ بالواقع... إذن هذا زعم مرفوض.

على كلّ حالٍ فإن هذا الاتجاه يسبرُ أغوارَ النفس البشرية، وينقد الحياةَ ويستخرج منها معانيها.

ثالثاً: الجانب التاريخي

لقد اختلفت لفظة أدب باختلاف حياة الأمة العربية، وانتقالها من حياة البداوة إلى أطوار الحضارة، والدليلُ علي ذلك أننا نجُد. أول ما يقابلنا فيما نقل إلينا من آثارٍ جاهليةٍ عن لفظةِ أدب - أنها كانت بمعنى الدعوةِ إلى الطعام وفي ذلك قول طرفة:

نحنُ في المشتاةِ ندعو الجفلى لا ترى الآدِبَ فينا ينتقِرْ

هذا ولم تتوقفْ عند هذا المعنى المادي أو المادى، بل تناولت المعنى الذهني ألا وهو المعنى الخلقي بما يشتملُ عليه من تهذيبِ النفس، وحسنِ الطبع مثلما جاء في حديث عتبة بن ربيعة مع ابنته هند وكانت قد شرطت عليه ألا يزوجَها من أحدٍ حتى يصفَه من غيرِ أن يسميَه، فكان مما وصف به أبا سفيان ابن حرب حين خطبها قوله: ويؤدب أهله، ولا يؤدبونه، وكان مما ردت به قولها:- وسآخذةُ بأدبِ البعلِ، مع لزوم قبتي، وقلة تلفتي[1]

وفي كلام علقمة بن علاثة أمام كسرى: "فليس من حضرك منا بأفضلَ ممن عزبَ عنك، بل لو قسمت كلَّ رجلٍ منهم، وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في آبائه أنداداً وأكفاءً. كلهم إلى الفضل منسوبٌ، وبالشرف السؤدد موصوفٌ وبالرأى الفاضلِ والآدبِ معروفٌ" [2].

وفي ذلك قول سهم بن حنظلة الغنوي [3]:

١- الأمالي ج٢ ص١٠٤

٢- العقد الفريد ج١ ص ٩٩.

١- سهم شاعر مخضرم راجع الأصمعيات ص ٣ رقم ١٢ طبعة دار المعارف.

لايمنعُ الناسُ منّي ما أردتُ ولا   أعطيهمُ ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا

نستشف من هذه النصوصِ أن الأدب قد استُعمِلَ بمعناه الخلقي من تهذيب النفوس، وحسن الخلق ، فضلاً عن هذا فإنه كان يدلُّ على التجارب والخبرات التى يلقنها الآباء للأبناء لتعينهم على السير في معترك الحياة .

بعد ذلك اتخذت اللفظةُ- من خضم العربية-أبعاداً ودلالاتٍ في محطات الزمن حيثُ إنه لما جاء الإسلام بمعجزته الكبرى-ألا وهى القرآن الكريم الذى أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور اليقين والمعرفة-شغلَ الناسَ بدرسه وفهمه، فنشأت عنه علوم الدين ...

ومع اتساعِ دائرةِ المعارف ، والثقافاتِ المختلفةِ والفنونِ الجميلة ، وتاريخ الحياة الاجتماعية والاقتصادية يصبح لزاماً أن يتطلب التخصص والاستقلال مثلما حدث للفلسفة اليونانية، وكذلك الأمر حدث لعلوم العربية حيثُ بدأ كل فرعٍ ينفصلُ عن الأدب، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته حيثُ قال : اللسان العربى أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب .. وحديثا تطورت الكلمة فى استعمالها بعد استخدامها ترجمة لكلمة Literature[1] حيثُ صارت تطلقُ بمعنى عام على جميع مادُوِّن في الكتب والمصادر من نتائجِ وأفكارِ علماء الأمة، أو أدبائهما . كما أنها تطلقُ بمعنى خاص على كل ماصيغ في عبارة جميلة وإنشاء بديع .

مهما يكن من أمر فإننا نرى أن العرب في الجاهلية لم يقصدوا من لفظة "أدب" ما نقصده اليوم ، وهو الكلامُ المنظومُ والمنثورُ ، وإنما نعتقدُ أنّها كانت تستعملُ في العصر الجاهلي بمفهومها المادي والذهني معاً ثم استخدمت في

١- الأسس الجمالية فى النقد الأدبى ص ٩ عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربى سنة ١٩٩٢م

العصور الإسلامية والتالية دالة على المعنى الذهني بما يشتمل عليه من حسن الخلق، والخصال الكريمة، ثم بتطور الحياة ، واتصال العرب بالحضارات والتمدن الإسلامي ، ونشاط حركة التأليف في القرون الثلاثة الأولى اشتقت منها معانٍ مجازية أخرى .

• والحديث عن الأدب يجعلنا في عجالة نتطرقُ إلى نشأته فنقول :

لقد اختلفت آراء الباحثين والنقاد في الدافع إلى نشأة الأدب وتوزعت ... فمنهم من رده كغيره من الفنون إلى رغبة الإنسان في اللعب الذى يخرجُ طاقةَ النفس الزائدة أو الذي يعبرُ عن الطاقة الزائدة . وأنه أصلُ كلِّ الفنون، وطالما أنه تعبيرٌ عن الطاقة الزائدة فإنه يصبحُ في المفهوم العقلي-غيرَ هادفٍ .

هذا وقد ذهب (كانت) إلى أن الفن سرور أو ارتياح بلا هدف . أو متعة خالصة من أى غرض . والجامع بينَ هؤلاءِ العلماءِ هو ردُّ الأدب إلى منبعٍ فردي ونشاط، وملكة ذاتية هذا من جانب ...على جانب آخر فإن "كانت وسبنسر" هما المؤسسان الحقيقيان لنظرية الفن للفن تلك التي اعتمد مذهبها على أربعة أشياء نذكر منها إيمانها بأن الفن صياغة شكلية -تكمن فى اللعب بالألفاظ.

فالفنان عندما يكتب فإنه لايبتغى منفعه ، ولا يسعى إلى غايةٍ بل يكتبُ؛لأنه يشعرُ بحاجةٍ إلى الكتابة بدافع داخلي فيجد لذة في اللعب ، وإن لم يَعُدْ عليه بفائدةٍ .

" فالفنُّ كاللعب يحدثُ فينا لذةً؛ لأنه إنفاقٌ للزائد عن قوانا المدخرة ، ووظيفته أنه يعزينا عن مبائس الوجود كله . إذن فالعمل الأدبي تكمنُ فلسفته فى المتعة والمنفعة [1].

أما ابن خلدون فلقد ردَّ ملكةَ الأدب إلى أصول اجتماعية جعلها ثمرةً

١-الأسس الجمالية في النقد الأدبي ص٩

للثقافة التى تحصلها الكاتبُ أو الشاعرُ من حفظة المنثور، والمنظوم ، وتمرسه بأساليب "البلغاء"[1] ولعل هذا التعريف يجد ارتياحاً لدى أغلب الدارسين اليوم

وهنا فإنّه يمكننا أن نطلقَ هذا على الأدب؛لأنه ظاهرةٌ اجتماعيةٌ يتطورُ كلما تطورَ المجتمعُ -في أوضاعه- علماً بأنَّ هذه الظاهرة الاجتماعية يتمثلُ فيها الصورُ الفنيةُ إذ تنشئها العواملُ الطبيعية التي تنتجُ كلَّ الظواهرِ الإجتماعية الأخرى .

إن ارتباط الأدب بالمجتمع يجعلُ له سلطاناً على الأفراد . ويجعل تطوره مرهوناً بقوانين المجتمع ، وهو لا يستمر تبعاً للأهواء والمصادفات، ولاوفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضعُ لقوانينَ مطردةٍ تتغيرُ بتغيرِ أحوال المجتمع، وانتقاله من طورٍ إلى طورٍ.

معنى هذا أن الأدب مظهرُ الحياةِ الإنسانية ، ولا يمكن أن تنقطع الصلة بينَ الأدبِ والحياة؛ لأنَّ الأدبَ ابنُ بيئته يتلونُ بلونها ، وتحددُ له القيمَ الإنسانيةَ و الأخلاقية ، والتطلعات الاجتماعية؛ لذا فهو يتسمُ بسماتها . كما أنه يخضع لمؤثراتِ هذه الحياة كالحضارة التي تنقلُ الشعوب من طورٍ إلى طور ، وترسخ النظام ، وتسن الاستقرارَ فيها ، وتتيحُ لها من الترف والسهولة مالم يكنْ به من عهد ، فتترك في حياتها المادية والمعنوية آثاراً لا تحتاج إلى أنْ تدل عليها .

ويستدل الدكتور/ طه حُسَين بالفروق العظيمة بين شعر العرب بعد أن تحضروا في العراق والشام ومصر والأندلس، وقبل أن يتحضروا في باديتهم في الحجاز.

١- مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٣ .

بعد أن عرفنا أن الأدبَ لونٌ من ألوانِ الفنون، ينطبقُ عليه ما ينطبقُ عليها جميعاً، له مهمةٌ أساسيةٌ في الحياةِ متعلقةٌ بكيان الإنسان، أو ماهيته تلك التي تميزه عن باقي فصائل النوع الحيواني، هذه المهمةُ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمشاعرِ اللذةِ والألم علماً بأن " اللذة التي تعنيها هنا ليست هي الحسية بمعناها الشائع بل هي قيمٌ تقومُ على أسسٍ من الرضى النفسي، والراحة الوجدانية ...

عوداً فإن الألم لا نقصدُ به مجردَ الآلام المادية المحسوسة وإنما " نريد به كل الأحاسيس الناتجة عن العجز في تكييف الفرد مع المجتمع " هذا ولا غرو في ذلك لأنه-كما مر بنا أن من معاني الأدب - هو الجيد من الكلام الذي يحدث في نفس قارئه، أو سامعه لذة فنية سواءً أكان هذا الكلام شعر أمْ نثراً.

إذن فهو يتصل بذوقنا، وحسنا وشعورنا؛ لذا فإنه وسيلة لإظهار ما نشعرُ به من ألمٍ ولذة .

وقد نقول: إن الأدب يهدفُ إلى المتعةِ والفائدة إذ أن المتعةَ بمعناها العام هي التي تنقلُ إلينا صورةً من صورِ الحياة، وهذا ما أكده "راس" عندما رأى أن فلسفة العمل الأدبى الجمالية تكمن فى المتعة والفائدة ، وذلك بأن تكون المتعة هي اللعب، والفائدة هي المنفعة .

والأدب ينقل التجارب الإنسانية ، ويفتح مجالات حضارية لإفادة البشرية، ويعمق فهمنا للحياة، بأن يطلعنا لا على عالم الرؤية الخارجي فحسب بل عالم المشاعر والأحاسيس.

وهو مفيدٌ في إنماء الذوق الفني، ومعرفة مكان الغرائز والخلاص من الطباع السيئة، وتنمية الذوق الفني تأتى بقراءة القطع الأدبية التى خلفها لنا الشعراء والكتاب[1] ليوقظ فينا أعمق الإحساسات، وأرفع العواطف

١- الأسس الجمالية في النقد الأدبي صـ١٠ .

الأخلاقية، وأسمى المعانى الفكرية.

إنه مفيد- أيضاً- في نقل المجتمع من حال إلى حال لأن حضارة الشعوب تنتقل من طور تعلمها الاستقرار والنظام، ويتتح لها من الترف والسهولة مالم يكن لها به عهد..

كما أنه يتيح لنا معرفةً حقيقيةً بالغةً، وكثيراً ما يميط اللثامُ عن وجه الكثير من الألفاظ، لأن المعاجمَ لا تدلُّ على مفرداتها دلالة جامعة "وإن كانت تعرض مشتقاتها، ولا تعطى جوها الواسع، وإنما تعطى معناها المحدود"[2]

معنى ذلك أن الكلماتُ جامدة بمعناها في المعاجم، ولابد للأديب أن يستشير المعاجم لتنتخبَ له ما يلائم تجربته، ثم يستخرجها فيبعث فيها من روحه حتى تأتى حية متحركةً بيننا.

وترجماناً لبيئته بكل ملابساتها، وأبعادها وآثارها؛ لأنها هي التى تمده بفيض من القيم والخصائص والتطلعات، فيستمد طبيعة تعبيراته منها حيثُ تفاعل معها فأثر وتأثر ضمن الأطر التى رسمهتا له الظروف والعادات والتقاليد وحسب المعطيات الشخصية والمواهب التى يتحلى بها ولا سيما الأثر المعوى كالأصالة والطبع وروح المحافظة.

والأدب يعمل على ربط مشاعر الجماعة، والعمل على التفافها حول موضوعات وأهداف موحدة، لأنه يرتاد بنا الحياة، ويخلق بيننا نسيجاً متكاملاً من علاقات هدفها الفهم والمعرفة. ولعل هذا مما يجعل له مكانه بارزة في الجماعة الإنسانية لأنه كما سبق أن ذكرنا أن ذكرنا أن الأدب يعبر عن خواطر مجتمعة الجماعية وكل ما تتضمنة من أفكار وأحاسيس فالأدب-كما قلنا- لا

١- تذوق الأدب صـ١٧

٢- الأسس الجمالية في النقد الأدبى صـ ١٠

يصنعه الأديب لنفسه وإنما يصنعة للجماعة التى يعايشها والإما خاطبها ونشر فيها. وهنا نتساءل فتقول هل كل الأدب مفيد؟

الإجابة على هذا التساؤل تسوقنا إلى أبعاد، ودلالات أخرى فالأدب حاله كحال كل شئ في الحياة لا يخضع لقوانين جبرية ثابتة وإنما تنطلق عليه نظرية النسبية وهنا يدلل الدكتور/ محمود ذهنى على هذا الرأى قائلاً:

"إن الطعام كُلّه يُوكل، ولكن منه المفيد ومنه الضارو المفيد تختلف نسبه فائده تبعاً لنوع الطعام..." بل تختلف نسبة لأقبال علية تبعاً لشكله ومذاقة"[1]

وهنا يمكن لنا أن نقيس ما سبق على الأدب فنقول :"إن هناك أدابا استطاعت أن تتخطى حدود المحلية أو الأقليمية بحيث حققت أكبر نسبة من أهداف الأدب لأنه كلما قام الأدب بتحقيق أكبر قدر من أهداف الفن في الحياة يصبح الأدب عالمياً. أما الأدب الذى لايستطيع تحقيق أهداف الفن في الحياة يصبح أدبا لأن موضوع الأدب هو الحياة الإنسانية بشكل عام[2].

١- تذوق الأدب صـ١٧

٢- المصدر نفسه صـ١٨

ثانيا: مفهوم التربية:

الحديثُ عن مفهوم التربيةِ يتناولُ أبعاداً أربعة نعرضُها فيما يلي :

الأول : البعد اللغوى :

المطَّلع على التربيةِ - لغةً - يرى أنَّ أصلها من "ربب" لأنَّ التربيةَ بعدَ حذفِ أل مصدر رباعي من الفعلِ ربىَّ .

ففي لسان العرب نجدُ "ربب"[1] بمعنى الرَّب ، وهو المالك ، والسيد والمدبر والمربيُّ والقيمُ والمنعم وربتُ القومَ أى كنتُ فوقهم..

وجاء أنَّ الربَّ في - الأصل- بمعنى التربية - وهو تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً، وُصفَ اللهُ به بالمبالغة . وجاءَ أنَّ التربيةَ إنشاءُ الشئ حالاً إلى حّد التمامِ ، وربما تكونُ هذه الصيغةُ قريبةً إذ تنطبقُ على حالِ الطفلِ منذُ ولادته إلى أنْ يبلغَ ويشُبَّ .

هذا ولقد قيل للمخلوقِ: ربُّ الشئ ؛ لأنه يسوسُه ويديره . والتربيةُ هي القيامُ عليه بالإصلاحِ حتى يبلغَ المرادَ . ومن أجلِ ذلك تسمى الربائب ؛ لأنهن يتربينَ في حجور أزواج أمهاتهن، فكأنهم قاموا بإصلاحهم حتى بلغوا.

الثانى : البعد الفلسفي :

يأخذُ البعدُ الفلسفي مكاناً قريباً من الجانب اللغوي إذ يلخصُ مفهومَ التربيةِ فى إعدادِ العقلِ السليمِ فى الجسم السليم على نحو ما ذهبَ إليه أفلاطون وأرسطو .

هذا وتعنى التربية عند الفيلسوف الطبيب ابن سينا أنهَّا سياسةٌ حتى ضمنها كتابَهُ السياسةُ سياسةُ الرجلِ أهله، وولده .

١- راجع لسان العرب مادة "ربب"

الثالث : البعد الموروثي الشعبي :

وفيه يرى المهتمون في الحقل الشعبي " أنها عمليةُ المحافظةِ على التراث والتقاليدِ والخبرات عن طريق نقله من جيلٍ الى جيلٍ . وقد دارت معظمُ آراءِ علماءِ العلومِ الإنسانيةِ المحدثين إلى دمج مفهومِ التربية إلى عملية التعليم.

الرابع : البعد الاستشراقي :

وفيه ترى النظرةُ الاستشراقية أنَّ التربيةَ من المفاهيم المطاطية تتسع دائرتها بكثرة العاملين بحقلها، فتعني عندهم التجارب التى تؤدى إلى مزيدٍ من كسب الخبرةِ، ولعل هذا المعنى يتلاقى مع مفهوم الأدب إذ تكونُ العلاقةُ نسبيةً تقومُ على التقريبية بحيثُ سبق أن ذكرنا أنَّ من تعريفِ الأدب: أنه مجموع الخبرات التى يقدمها الأباءُ للأبناءِ لتعينهم على السيرِ فى الحياة .

مهما يكنْ من أمرٍ فإنه يصعبُ إيجاد تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للتربية؛ لأنها من الكلمات التي لا تقبل -هي الأخري- تعريفاً محدداً، كما أنها تخضعُ لعواملِ بناءٍ تتسمُ بالتنوع ، والتغيير وفقاً للتغيرات التى تطرأ على المجتمعِ الذي يخضعُ للعوامل البيئية تلك التي تحددُ قيمه الأخلاقية ، والإنسانية ، وتطلعاته الاجتماعية .

فطالما أن هناك ارتباطاً وثيقاً بينَ التربية والمجتمع؛ فإنَّ عملية التربية تهدف إلى إعداد الناشئ إعداداً يساعدهُ على أن يصبحَ فرداً قادراً نافعاً لنفسه متجاوباً مع مجتمعه منتجاً فيه عن طريق تنمية البدن السليم ، وتهذيب النفس وترقية المشاعر ، والوجدان ، وتثقيف الفكر ، وتحصيل المعارف ولعل هذا الهدف يتكاملُ إذ لا يتفاضلُ عن أهدافِ الأدب . فالأدبُ من مهامه – أنه يرتادُ بنا الحياة ، ويخلقُ بيننا وبينها علاقاتٍ جديدةً من الفهم والمعرفة ، كذلك فإنه مفيدٌ فى إنماء الذوق الفنى وإيقاظ أعمق الأحساسات ، وأرفع العواطف

الأخلاقية ، وأسمى المعاني الفكرية ولعل هذا يؤكد ما ذهبنا إليه ظناً وهو يكمن في العلاقة النسبية التكاملية .

أي أن مفهوم تربية الطفل بمعناه اللغوي أو الاصطلاحي لاينفصل عن الآداب العامة ، ونعنى بها السلوكَ والتأديبَ والتهذيب ورعاية الناشئة بأدب الدنيا إذ أنهما يشتركان معاً فى توجيه القيم السلوكية الإيجابية والأغراض الخلقية .

ثالثاً : مفهوم الطفولة

عندما نستعرضُ المفهومَ الاصطلاحي للطفولة بوصفها الشريحة الاجتماعية التي تمثل أربعين فى المائة من إجمالى السكان ؛ فإننا نرى أنها مرحلة "عمرية" من عمر أي كائنٍ بشريٍّ تتسمُ بأطولَ وأوثقِ مرحلةٍ بينَ سائر المخلوقات ، وهى التى تبدأ من الميلاد حتى الرشد .

على كل حال فلقد وردت لفظة " الطفل " فى اللسان بمعنى كل شئ رخص ناعم ، والجمع أطفال وطفول وجاءت بمعنى الولد الصغير من الإنسان والدواب ، ثم يبقى هذا الاسم للولد حتى يميز. وقتها يُقال "طفل" ثم صبى ويافع ومراهق وبالغ . هذا ويطلق على الطفل هكذا حين يسقطُ من بطن أمه إلى أن يحتلم .

والجدير بالذكر أن لفظة "طفل" وردت في القرآن أربعَ مراتٍ ثنتان منها تشير إلى المرحلةِ المبكرة، والثالثةُ تشيرُ إلى المرحلة المتوسطةِ من العمر ، والأخيرة تشيرُ إلى المرحلةِ المتأخرةِ .

بذلك فلقد شملَ القرآنُ المفهومَ بأشكالهِ الدلاليةِ، والصرفيةِ، والمعجمية والمعرفية .

وفي التراث الشعري ، والعلوم المعرفية والإنسانية والفكرية سنرى أنّ

المسمى يكادُ يتفقُ فى كل معاينة ، وخصائصه - أيضاً - مع القرآن .

هذا ولقد أتت تلك الجهود أكلها فأثمرت علوماً مستحدثةً معاصرةً مثل علم النفس والنمو أو علم النفس الارتقائي ، وعلم اللغة النفسي ، وكلها اتجاهاتٌ متشعبةٌ من ميادين علم النفس، كذلك الأمر ينطبقُ على ميادين علم الاجتماع إذ ظهر علم اجتماع نمو الطفل، كذلك عني أيضا اهتمام علم الأنثروبولوجيا خلال العقود الأخيرة بالطفولة ، ودور المؤثرات الثقافية والفكرية والاجتماعية على شخصية الطفل ، وسلوكه أيضاً .

ونحن هنا نؤكدُ أن كلَّ هذه الدراسات اتسمت بالتخصصية والاستقلالية الدقيقة . وكلُّ هذا يدلُّ على درجات الوعي العلمي الذى جاءَ نتاج جهود مضنية في حقول البحث والفكر .

وبالنظر إلى الأدب موضوع حديثنا وبؤرة اهتمامنا بوصفه واحداً من الجهود المستحدثة المعاصرة من حيثُ التأصيل والإبداع للطفولة فإننا نقول: إنَّ الأدبَ ليس قاصراً على الكبار، لكنه -أيضاً- واحةُ الأطفال، والقاعدةُ المستطيلة والتربةُ الخصبةُ التي تنمو عليها طفولتهم .

• علاقة الأدب والتربية بالطفولة:

عندما تحدثنا عن علاقة الأدب بالتربية قلنا: إنها علاقةٌ تكامليةٌ إذ أنَّ كلاً منهما يكملُ الآخر في تقديم قيمٍ سلوكيةٍ ومعرفيةٍ، وتعليميةٍ، وتثقيفيةٍ وفكريةٍ تنمّي إدراكَ الطفلِ ، كما يقدمُ الأدبُ قيماً جمالية تنعكسُ على سلوكه مع الآخرين ، وتنظم تعامله مع الآخرين، وتحقق له المنفعةَ ، وتثير البهجةَ في نفسه ، وتنمى ذوقه الحسيَّ والأدبيَّ .

أما إذا كان دور التربية تأصيلياً فإن الأدب يأتى هو الآخر-جوهرياً شريطة أن يتوفر لدى الطفل اتجاهان :

الأول : الاستعداد الذاتي ، والفطري للاستمتاع بفنون الأدب والاستجابة لطموحاته ومؤثراته .

الآخر : النقاء الوجداني، والقدرة على التخيل؛ لأنَّ بيئةَ الطفلِ، وطبيعته التى يعيشها تلعبان دوراً أساسياً في تحديدِ قيمه الأخلاقية، وتطلعاته الاجتماعية.

فعاملُ التأثير والتأثر قائمان .. بمعنى أن البيئة والطبيعة تؤثران في صاحبها تأثيراً مباشراً .

نضرب مثالاً على ذلك بقصة الأمير وهديته ومفادها: أن أميراً قد أُهدي إليه فرساً، وصقراً، فطلب من وزيره أن يضعَ الفرسَ مع الأفراسِ ، بينما يضعُ الصقرَ مع الصقورِ..

بعد أيامٍ دخلَ الأميرُ الأصطبلَ فرأى الفرسَ ينظفُ نفسَه بحافره والمتعارف عليه أن الأفراسَ تنظفُ نفسَها بمقدمة أسنانها-فتعجب من حال الفرس، ثم اتجه إلى حديقةِ الصقورِ ، فرأى الصقرَ مطأطأ الرأس، أي لا يرفعُ رأسَه إلى أعلى ـ والسائد لدى الصقورِ أن ترفعَ رأسَها، وتطيلَ نظرها فى السماء - فحار في أمره، وعزم أن يستفسِّر عما يجول أمامه من غرائبَ، فلما دخل عليه وزيره سأله عن أمرِ الفرسِ فقال له : ياسيّدي- إنّ هذا الفرسَ قد تربىَّ مع أبقارٍ وحمير، فالأبقارُ تنظفُ نفسها برجلها، وكذلك الحمير . وبما أنَّ الفرس قد عايشها فأنه تطبع بطباعهما . أما عن الصقرِ فإنه تربى فى بيئةٍ غيرِ بيئته . أى عاش مع الدجاج، والدجاجُ لاينظرُ إلى أعلى بل يديمُ النَّظرَ في الأرضِ، ينقرُ، فيها وكذلك الأمرُ فلقد تطبعَ الصقرُ بطباعها.

من هنا نرى أن البيئة تؤثر تأثيراً مباشراً على ساكنيها سواءً من ناحية موضوعات التعبير، أو طبيعة التعبير، وأنماطه .

فالإنسان الذى تربى فى بيئة مرتبة تنشدُ النظام أو الجمال وسيلةً وغايةً فى الحياة يستطيعُ أن يكتسبَها في نفسِه ، وتنعكس تلك القيمُ على سلوكِه .

نعودُ إلى علاقة الأدب بالطفولة فنقول :

إن العلاقةَ القائمةَ بينَ الأدبِ والتربيةَ مع الطفولة هى علاقةٌ تكامليةٌ ترابطيةٌ؛ فبينما يتكاملُ الأدبُ مع التربية فى إبراز قيمٍ تأصيليةٍ، وإدراكيةٍ ووجدانيةٍ ومعرفيةٍ فإنه يرتبطُ مع الطفولة إرتباطاً كلياً .

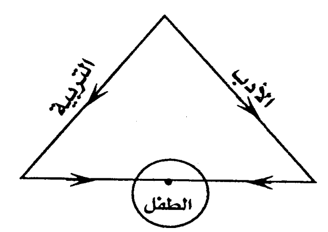
فالأدب ينمي حاسة الطفلِ ، ويجعله قادراً على الاستجابة للتفاعل والتعبير عن الشعور بالجمال ، وفهم الحياة وهذا أمرٌ طبيعىٌ لأنَّ الأدبَ وسيلةٌ من وسائلِ التعبيرِ عن انفعالات الطفل، وعواطفه .

ماسبق كان عرضاً للمثلث المفهومي بأضلاعه الثلاثة الأدب ، التربية ، الطفولة . هذا ولقد خشينا أن نتركَ واحداً فتسيرُ الدراسةُ في خطٍ منكسرٍ .

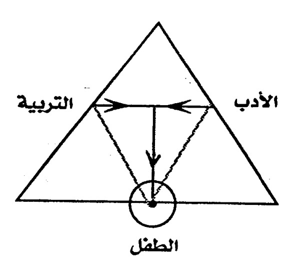
لتوضيح العلاقة بين الأدب والتربية والطفل

نقدمُ بياناً تخطيطياً في حالتين :-

١- الحالةُ التاليةُ توضحُ العلاقةَ التكاملية بين الأدبِ والطفلِ والتربيةِ



٢- الحالة التالية توضح العلاقة الثنائية بين الأدب والتربية والعطا وانعكاسها علي الطفل.



الفصل الثاني

صورة الطفولة في تراثنا الأدبي

يعتقدُ البعضُ أنّ "أدبَ الطفولةِ" أمْر مستحدثٌ أوجدته الدراسات المعاصرة برموزها الكثيفة ، ومعطياتها المتراكمة لكننا نرى غير ذلك حيثُ تنبه أدباؤنا من زمنٍ بعيدٍ للحديثِ عن الطفولة، وأهميتها، وتصوير حبِّ الآباء للأبناءِ ولعل أقدمَ النصوص الشعرية التي تناولت هذا الشأنَ نصُّ الأعشى الذي صورَ – لنا في أبياتٍ قليلة – مشاعره تجاه ابنته الحبيبة قائلاً[1] :

تقـولُ بنتي، وقـد قرّبْتُ مـرتحلاً: يارَبِّ جنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعا
واستشفعت من سَرَاةِ الحيِّ ذا شرفٍ، فقـد عصاها أبُوها، والذي شفعا
مهـلاً بُنـيّ، فـإنّ المـرءَ يبعثُـهُ همٌّ، إذا خالـط الحيزُوم والضّلعا
عليك مثل الذي صلّيتِ فاغتمضي يومـاً فإن لجَنبِ المرء مضطجَعـا
واستخبريى قافلَ الركبانِ وانتـظري أوْبَ المسـافرِ، إنْ ريثاً وإنْ سَرَعَا
كُونى كمثلِ التي إذْ غابَ وافدُهَـا أهـدتْ له من بعيـد نظرةً جزعا
ولا تكـوني كمـن لا يُرتجى أوْبـاً لذي اغترابٍ ولا يرجُـوله رجَعَا

حيثُ نرى الشاعرَ-هنا- يجسدُ في خطابه الشعري علاقتهَ الحميمة بابنته التي تخشى أن يبعَد أبوها عنها خوفاً من الفراقِ، وتبعاته، كما تدعو الله أنْ يجنبه الآلام والأوجاع، وتتمنى ألاّ يبعَد عنها،وأن يشفعَ لها، ويعاونَها في طلبها.

ثم يقدمُ لنا الشاعرُ خطاباً استعطافياً من قبل ابنته متمثلاً في طلبها من سادات الحي أن يقنعوا أباها بعدمِ السفرِ، لكنه عصيها وعصيهم، ولم يحققْ ما تمنّوا جميعاً.

والأبيات الأخيرةُ تحملُ مضامينَ اجتماعيةً، وقيماً تربويةً، وفكرية رائعةً بثها بعضاً من آداب السفر، وما يجبُ أنْ تتجملَ به الابنةُ عندما يسافرُ أبوها

١- انظر : ديوان الأعشى ط ١ صـ ١١٠ دار الكتاب اللبناني سنة١٩٧٦م.

فالواضحُ لنا أنه على بساطة المفهوم وهشاشة الفكرة، كما يرى البعض فإنّها عكست قيماً معرفيةً -لابأسَ بها عن علاقه الأبوة بالأبناء سيما البناتُ هذا من جانب.... على جانب آخر فإنّها تنبئ بإرهاصات مستقبلية تعني بالطفولة،وتسجلُ المشاعرَ التي تنتابها سيما لحظةُ الفراق، أو الوداع، والدفء العاطفي الذي يملأ حناياها عندَ المداومة على الإبقاء مع والديها و......

على كلٍّ حالٍ فالنصُّ جاهليٌّ قديمٌ، والخطابُ فيه لابنته علماً بأنَّ البنات كنَّ مكروهاتٍ في الجاهلية، ويكفى أنَّ قضيةَ الوأدِ قد انتشرت في هذا المجتمع تحتَ مظلة العصبيةِ القبليةِ، والأمية الدينية التي قضت على الكثير، من القيم الأخلاقية والإنسانية......

إنَّهُ وعلى الرغم من هذا كلّه فإنَّ الشاعر عكس لنا جانباً من الارتباط الوثيق بينَ الأب وابنته...، وكون الأعشى يترجمُ هذهِ المسألةَ ترجمةً شعوريةً صادقةً، فإنه بذلك ينميُّ عاملاً وجدانياً يرقى بالمشاعرِ، وبنائه الروحي.

تنتقل إلى العصرِ الإسلامي فنجدُ الشعراءَ وقد جاء إنتاجهم مصوِّراً حبَّ الآباءِ للأبناء، ونمثّل لذلك بالشاعر حطان بن المعلى، وهو شاعر إسلامي من بني مخزوم قرشي.. ننظر إليه وهو يقول:

أنزلنى الدهرُ على حكمه ... من شـامخٍ عـالٍ إلى خفضِ
وغالني الدهرُ بوفرِ الغنى ... فليس لي مالٌ سوي عِرْضِي
أبكـاني الدهـرُ ويارُبما ... أضحكنى الدهـرُ بما يرضي

فنراه يقدمُ لنا قيماً اخلاقيةً، وإنسانيةً رائعةً متمثلةً في قبوله ضيق الحال، وضنك المعيشة مقابل الإقامة مع بنياته إذ أن تربيةَ الأبناء مهمةٌ شاقةٌ وعسيرةٌ تتطلبُ المزيدَ والمزيدَ من التضحيات خصوصاً إن كانت ماديةً فإنه يمكنُ الاستعاضة عنها، لكن مارأيناه اليوم عكسَ ذلك حيثُ جاءت الكوارثُ

والأحداثُ الجسام على غير ما نتمنى. المهم فإنَّ شاعرنا صور لنا مدى حبه وخوفه على بناته؛ فقدم لنا علاقة تكامليةً بينه، وبينَ الأبناء عجزت اللغةُ الشاعرةُ فيها على تأدية المعاني التي تضطرب في صدره

هذا ولقد رسم لنا صورتين بلاغيتين شخصتا وجسمتا عاطفة الأبوة ولهفتها الأولى في قوله:

لولا بنياتٍ كزغبِ القطا   رُددْنَ مــن بعضٍ إلى بعــضِ

حيثُ رأينا تشبيهاً مجملاً جاء المشبه فيه بنيات، والمشبه به "طائر القطا".. هذا ولقد اختار طائر القطا الصغير؛ لأنه بطيء الحركة، مضطرب دائماً ولعل هذا يتناسبُ مع الحالةِ النفسيةِ التي يكونُ عليها الأبناء والبنات في مقتبل العمر.

الثانية في قوله :

وإنما أولادنــا بيننــا   أكبادُنا تمشي على الأرضِ

حيثُ رأينا تشبيهاً بليغاً شبه فيه الشاعرُ الأولادَ بالأكباد، ثم ركّبَ الصورة فقدم استعارةً مكنيةً تخيلَ الأكبادَ إنسانا يمشي فحذف المشبه به، وأتى بشئ من لوازمه وهو المشي ، ومن سر جمال هذه الاستعارة أنها توحي بالفكرة، وذلك برسم صورةٍ لها.

كذلك جاء المشبه به واصفاً لحالة الحب الشديد، ومبيناً لمقدارها في قلبه.

على كل حال فإننا - شئنا أم بينا سنرى أن الأبيات تنطوي على قيمٍ نفسيةٍ وأخلاقية، هذا بالإضافة إلى ما قدمته من خطاب معرفي إلى ضمير الإنسانية تجاه الأبناء ،وضرورة ملازمتهم.

كذلك نقرأ قول الشاعر أمية بن أبي الصلت:

غـذوتك مولوداً وعلتــك يافعــاً   تعل بمــا أدنى اليـك وتنهـلُ

إذا ليلةً نابتك بالشكو لم أبتْ … بشكواك إلاّ ساهراً أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي … طرقت با دوني، وعيني تهملُ
تخاف الرّدي نفسي عليك، وإنّها … لتعلم أن الموتَ حتمٌ مؤجلُ
فلما بلغت السنّ والغايةَ التي … إليها مدي ماكنت فيك أومّلُ
جعلتَ جزائي منك جبهاً وغلظة … كأنك أنتَ المنعمُ المتفضلُ
فليتك اذا لم ترعَ حقّ ابوتي … فعلت كما الجار المجاور يفعلُ
وسميتني باسم المفنّد رأيه … وفي رأيك التنفيد لو كنتَ تعقلُ
تراه معداً للخلاف كأنه … يرد على أهل الصواب موكّلُ

فنرى الشاعرَ هنا قد استعملَ الأسلوبَ الأحادي المباشر في خطابه الشعري واصفاً حجمَ المعاناة التي لاقاها في تربية ابنه حيثُ لاقي ما لاقاه منذُ ولادته من الإعياء، وتجشّمَ الكثير والكثيَر، من المتاعبِ حتى صارَ رجلاً فيخاطبه قائلاً: إنك إذا شكوت من شئ فإنني أبيتُ طوالَ الليلِ ساهراً مهموماً كلَّ الهمّ... حتى كأنني أنا المتعبُ... لأنني أخافُ عليك..

ويستطرد الشاعرُ قائلاً هنا : إنك عندما كبرت، وصرت رجلاً تملأ السمعَ والبصر وكان هذا كلَّ غايتي التي تمنيتها -انتظرتُ ردَّ الجميلِ لكنك قابلت المعروفَ بالجحود، والجميل بالإنكارِ، وما كنت أتوقعُ فيك هذا كلّه..!!

بعد ذلك يتمنى الشاعرُ من ابنه أن يراعي حقّ الأبوة،ويعمل على راحته وإن لم يستطعْ فليعتبره جاراً له حقوق وعليه واجبات، يجبُ أن يعملَ بها... لكنه راحَ يخطّئُ كلَّ مايقوله الأبُ من رأي، ويسفه به، ضارباً بحقِّ الأبوةِ عرضَ الحائطِ ، وكان ماقدمه لابنه من جميل وفضل وخير عميمم قد ذهبَ سدى مع الريح.

نعيد قراءة الأبيات كرة أخرى فنرى أن الشاعرَ قدمَ لنا شكلاً تضادياً

يبرز شعوراً عكسياً متمثلاً في شكوى أشبه أن تكونَ مرثيةً يرثى بها حَالهُ؛ لأنه تعيسٌ نادمٌ على أمنيته التي ضلت طريقها فصارت كليلةً عاجزةً متردِّية، وقد انطمرت في ثنايا الجحود والإنكار..

إنني لا أبالغُ هنا إذا قلت:- إنَّ ذاتَ الشاعرِ استطاعت بعقلانيةٍ نقديةٍ أنْ تمارسَ فعاليتَها الواعيةَ في تأطير الحالة الرومانسية التي كان عليها الشاعر.

وإذا ذهبنا إلى ابن الرومي الشاعر العباسي وهو يقول[1]:

وأولادنا مثلُ الجوارحِ أيّها فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لايسد اختلاله مكان أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين تهدي كما تهدي

وجدنا ابنَ الرُومي يعبرُ عن طاقةٍ شعوريةٍ اختزلتها الأبياتُ في شكلٍ حسِّي مأساويٍّ معبراً عنه بأسلوبٍ تقريرى مباشرٍ، وصورةٍ شعرية موضحةٍ قيماً حياتيةً واقعيةً، تكمنُ في أنه إذا فقد الإنسان ولده، فإن الخسارة تصبحُ جسيمةً إذ لايعوضها شيء فلا يغنى عن الفقيد إنسانٌ آخر مهما كان.

إنَّ هذه الأبياتَ الثلاثةَ تقدمُ علاقةً ترابطيةً ممثلةً في حوار منطقي رائع يعتمد فيه على التحليل والتعليل فبينما قال في البيت الأول أن أبناءه مثل أعضائه، فإنه راح يعلل ذلك بأن المفقود من الأبناء لا يعوضه شئ.

ومنه يقول الصنبوري[2]:

كنتَ القرير العين إذا كنتَ لي محلو أحاديثيَ وأخباري
وكان شعري يتغنى به فاستحسنت للنوحِ أشعاري

١- ديوان ابر الرومي ح٢ صـ٢٢٦ دار الكتب سنه ١٩٧٣م.

٢- ديوان الصنبورى صـ١٠٠

حيثُ نراه يرثي ابنهَ مبيناً العلاقةَ الحميمةَ التي جمعت بينهما، لقد كان الحبيب، والابن والصديق، والأخ الذي كان يتناولُ معه أطرافَ الحديث وبعضَ وجوهِ الرأى حتى يستبينَ، لذا فإنه كان واحة شعره، ومنطلق وحيه، وإلهاماته وهاهو اليوم بدلاً من أن يتغنى به راحَ ينوحُ عليه بشعره.

والبيتان يسفران بوجههما عن قيمٍ إنسانيةٍ، وعلاقات أسريةٍ جمعت في رحابها- الأبَ وابنه. . . . . لقد عبرَ الشاعرُ عن رؤيا للحياة تشملُ معناها في لحظة تضم الماضي والحاضرو المستقبل معاً

والواضحُ أنَّ ملامحَ أدبِ الطفلِ، وقسماته في تلك الفترة يمكنُ درجها تحتَ إطار الشعرِ الغنائي باعتبار أن المتعة التي يحصل عليها الشعراءُ الآباء وعندما يتحدثون عن أنفسِهم، ويتغنون بها هي- تأملٌ ذاتي، ومنطلق وجداني وتعبير روحاني.

على كل حالٍ سنجدُ في تاريخ الأدب العربى من الأمثال والحكم والنكات والنصائح، وقد سارت في خطٍّ موازٍ لمثيلاتها من الفنون النثرية.

ونمضي مع الشعراء في العصر الحديث فنرى مؤسسَ وناهضَ وباعثَ هذا اللون الأدبي الشاعر أحمد شوقي حيثُ قدم لنا ديواناً مستقلاً احتوى على عشرِ قصائدَ للأطفال مشتملةً على الأشعار، والحكايات الشعرية، والألغاز والأحاجي فكانت فاتحة شعريةً، ثم توالت الحركات الإبداعية فرأينا كامل الكيلاني، ومحمد الهراوى، وغيرهم حيثُ أثروا أدب الأطفال بما تفجَّر لديهم من طاقاتٍ شعرية وإبداعية أسهمت فى تأصيل لون أدبيٍّ كبير يمثل قاعدةً مستطيلةً ودعامة كبرى في ترسيخ قيمٍ تربويةٍ، وخلقيةٍ، وتعليميةٍ.

لكننا -ونحن بصدد الحديث عن أدب الأطفال- نرى من الحس إعطاء تلميحات سريعة إلى إجناسه الأدبية رغبة في رسم خارطةٍ فنيةٍ - نستهدف من

خلالها- أبراز ملامح وقسمات أدب الطفل، ثم معرفة إلى أي مدى وقف أدب الأطفال مع أدب الكبار.

- **الفنـــون النـــثريـــة:**

حملت إلينا كتب التراث العربى بين ثناياها مما تمَّ تدوينه من فنونٍ نثريةٍ خاصةٍ بأدبِ الأطفالِ حيثُ عاشت هذه الفنون-قديماً- في ضمير الأمةِ بروحِ الجماعةِ هذا ولقد أشار القرآنُ إلى أساطيرِ الأولين.

فحكاياتُ الأطفالِ على شتى أنواعها، وإن كانت لها خصوصيتُها الفنيةُ فإنها - أيضاً- تضرب بجذورها في أعماق قصصنا الشعبية.

إننا لا نفتأ نذكر أجدادنا وهم يقصون علينا حكايات أُمّنا الغُولة وغيرها من حكايات الشياطين والجن التى بلغت أَوْجَ شهرتِها، وتمامها الفني في العصرين الثالث والرابع الهجريين ومن أمثلته رسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد الأندلسي، وقصة حَيِّ بن يقظان لابن الطفيل حيثُ ظهرت هذه القصصُ مستمدةً موضوعاتِها من طبيعةِ الحياة الأندلسية سياسية، وثقافية، ودينية حيثُ غلب عليها الجانبُ الفلسفي.

على كلٍّ حالٍ فإنه من الممكن أن نفهمَ -بسهولة- خصائصَ ومميزاتِ القيمةِ التربويةِ للقصص الخرافية إذا ما تذكرنا قصتى "سندريلا" و"ذات الرداء الأبيض" فالخرافة في المقام الأول هي بمثابة اعتراض وتمرد مكبوت على الضعف الانساني وفي نفس الوقت تمثلُ ارتياحاً وميلاً للقوة الخارقة لأن النسج الخيالى الخرافي يأتي بأشخاصٍ لهم قوى فوق قوى البشر ليساعدوا الضعيف، ويدافعوا عنه... إن هذا الازدواج الذي ينشأ من الصراع بين قوى الشر، وقوى الخير يعطى أساساً واقعياً فالحياه اليومية ماهى إلا سلسلة متصلة من الأفراح والأتراح.

إنه وإن كان الصغار لا يفهمون هذا لكنهم يعجبون بالقصص الخرافية لأنها بالنسبة لهم مغامرةٌ خياليةٌ ساحرةٌ لها نهايةٌ سعيدةٌ...

فالخرافةُ تأسر الطفل؛ لأنها تمثل العالم -كما يرى هو- مزيج بين الحقيقة والخيال ،كما تساعدهُ على تمييز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، وتغرس فيه حبَّ الفضيلة[1].

كذلك الحال في قصصُ الحيوان التي بدأت مع كليلة ودمنة حيثُ قام ابنُ المقفع بترجمتها ، وهي مجموعةُ قصصٍ تبلغُ أربعَ عشرةَ قصةً، تتخللها قصصٌ أخرى استطرادية وهى جميعاً -خلا واحدةً- على ألسنةِ الحيوانِ، وتبدأُ بباب الأسد والثور، وتنتهى بباب الحمامة والثعلب، والملك الحزين. وهذه القصصُ المترجمةُ ذات أصل هنديّ من أروع ما أهداه ابن المقفع إلى المكتبةِ العربية بل إلى الأدب العالمي...

فالحيوان رفيقٌ لعبِ الطفلِ الصبورِ الذي كان أولَ شيءٍ لاحظهُ، وهو مليءٌ بالدهشة.

أنه يمثلُ عنصراً هاماً في عالم الطفل المليء بالحركة والحيوان والمشاهد فالحيوانُ يمثلُ حلقةَ الوصل بينَ الجمادات الصادقة، وبين الأشخاصِ الناطقينِ الأذكياء، كما أنه عنصرٌ يستخدمه الطفلُ في ألعابه.

فحبُّ السيطرة لدى الطفل يدفعه إلى امتلاك الأشياء الصغيرة ليسخرها لمتعته، ومن ثم نجده يحبُّ بشدة، أو على العكس يتعامل بقسوة مع الحيوانات الصغيرة... إننا نستطيعُ إشباعَ حبَّ الطفل للحيوان واهتمامه الشديد به عن طريقِ تقديم الكتبِ المصورة له، وكذلك قصص الحيوان بحيثُ تتكاملُ الكلمةُ مع لغةِ الصورِ-أيضاً- يمكننا تقديمُ قصصٍ على لسان الحيوان بحيثُ تقدم لنا

١- التربية اللغوية للطفل تأليف سرجيو سبينى صـ١٤٢ دار الفكر العربي.

سلوك البشر في عباءة حيوانية حيث يأتي هذا النوعُ ملائماً لعقلية الطفل التى تميل إلى الخرافة، هذا بالاضافة إلى النسج القصصي الذي يجبُ أن يكونَ قصيراً ذا حوار هادف، ومشاهدَ وصفيةٍ سريعةٍ ودقيقةٍ.

مهما يكن من أمرٍ فإن هذه القصصَ- على قدمها، وبُعد عهدنا بها، وعلى الرغم من أنها تتخذُ من الكائنات عاقلة، ومفكرةً- على سبيل التخيل- إلا أن الأطفال شغفوا بها وتوارثوها شفاهياً من جيل إلي جيل حتى وصلت إلينا؛ لأنهم بحاجةٍ ماسةٍ لمثل هذه الحكايات القصصية لكونها تعتمدُ علي الخيال أحدى قوى العقل التي يُتَخَيَّلُ بها الأشياءُ، لذا فإنها تقدمُ منفعةً، ومتعة للطفل بقصد التسلية، ومضموماً وقيمة وهدفاً بقصد التعليم، واستيعاب أيّ معرفة بالكون والكائنات،كذلك فإنها تقدم خطاباً تربوياً يهدف للتهذيب، وتنمية الوجدان ،وترسيخ الجانب الإدراكي.

فالحكاياتُ القصصيةُ الخرافيةُ والأساطير كما أسلفنا القول- كان لها وجودُها في التراث الأدبي وهى كثيرة متنوعة. .وتذكر منها:-

*** * الأمثال والحكم والوصايا:**

وتعدُ هذه الألوانُ العمدةَ بل الأساسَ في تكوينِ وجدانِ الطفل، وعقله بشكلٍ مباشرٍ؛ لأنَّ الإنسانَ -بدوره- يميلُ دائماً إلى الماديات، وتجسيد المحسوسات بهدف تشخيص المعنويات، لذلك فإن التقويم عندما يأتى بالحكمة الوعظية فإنه يؤتي بثمارٍ جليةٍ حيثُ يطرقُ وجدانَ الطفل، وعقله طرقاً مباشراً لا يملكُ الطفلُ وقتها إلاَّ الاستجابة المثلى، والإفاددة الجلّي.

فالحكمة هي قولٌ موجزٌ بليغٌ يحملُ في طياته معنيً سامياً، وتجربةً إنسانيةً عميقةً. أما المثلُ فهو قولٌ موجزٌ بليغٌ يعتمدُ على حادثةٍ أو قصةٍ أو مناسبةٍ قيل فيها، ويضربُ في الحوادثِ المشابهةِ لها.

إذن فكلٌ من الحكمة والمثل قولٌ موجزٌ بليغٌ، ولكن المثلَ يعتمدُ على قصةٍ قيل فيها، أمَّا الحكمةُ فلا تعتمدُ على حادثةٍ أو قصةٍ.

والأمثالُ ذاتُ قيمةٍ تاريخية وأدبية عظيمة؛ لأنها تصورُ لنا الكثيرَ من مظاهرِ الحياةِ وتطلعنا على قيمِ أهلها الأخلاقية وأكثرُ الحكم كانت تردُ على ألسنةِ الخطباءِ من أمثال أكثم بن صيفي، وعامر بن الظَّرِب. وإليك بعض الحكم النثرية.

١- ربَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً.	٢- المرء يعجز لا محالة.
٣- لاجماعة لمن اختلف.	٤- ربَّ قول أنفذ من صول.
٥- كلم اللسان أنكى من كلم السنان.	٦- الحر حُر وإن مسته الضر.
٧- مكره أخاك لابطل.	٨- سبق السيف العذل .
٩- مواعيدُ عرقوب .	١٠- جزاءُ سنمار .
١١- قطعتْ جهينةُ قولَ كلِّ خطيبٍ	١٢- ضيعت الصيفَ اللَّبَنَ .

وفي الإسلام رأينا القرآن الكريم، قد اشتمل على العديد من الحكم والوصايا التى جرت بين الناس عرفاً وعادةً. نذكرُ من الأمثال المنظومة

لا تقطعنَّ ذنبَ الأفعى وترسلُها ... إن كنت شهماً فاتبعْ رأسها الذنب

ويقول المتنبي:

من يهنْ يسهلْ الهوانُ عليه ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلام

وهذه الأمثالُ تحققُ الوظيفةَ اللغويةَ بوصفها وقفاً على الأدبِ الوعظي والأخلاق. كذلك فإنَّ استخدام الأسلوب اللغوي البسيط يجعل الطفل ملماً بدلالاتها فتنمو اللغة على لسان، وتتعمق في مخيلته قدرات التعلم، والتذكر والتخيل ،والتفكير الواعي.

* * الأحــاجى والألغــاز

تقدم الأحاجى والألغاز المسألة أو الموضوع بشكلٍ فكاهي بهدف إثراء قيمةٍ تعليميةٍ، وترويحيةٍ مثلها مثل الحكايات القصصية بأنواعها إذ تحمل وظيفتها الأخلاقية، وتنمى المعلومات عن طريق تنشيط الذهن.

ومن الألغاز نقرأ في الموز

ما اسم شئ حسن شكله تلقاه عند النـاس موزونـا

تراه مــعدودا فإن زدته واو ونـونـاً صار موزونـا

الفصل الثالث

من السمات البنائية لشعر الطفل

أولاً
أ - سـهولة الألفاظ

ونحنُ -بصدد الحديث عن الألفاظ- نقولُ في البدء: إنها اللبناتُ التي تُبْنَى بها القصيدةُ، ولولاها ما استطعنا أن نجعلَ من المعنى صورةً نتذوقها، ونطربَ بها . . . فضلاً عن هذا فإنها كائنٌ حيٌّ ينمو، ويتطورُ، ويصوِّرُ كلَّ مايدورُ في الحياة

فالشاعر هنا عند اختياره للألفاظ فلابدَّ أن يتمتعَ بحاسةٍ خاصةٍ تفرزُ له الألفاظَ تلقائياً، وتميزُ بعضَها عن بعضٍ، وتقدمُ له مايوافقُ مزاجَه الشعري دونَ تعبٍ أو نصبٍ لاسيما إنْ كانَ مرتاحاً، هادئَ النفس. . . إلا أنه في بعض الأحيان قد يغلبُ على أمره لسببٍ ما فتسلطُ بعضٌ من الألفاظِ الغريبةِ على لسانِ شاعريته فتستجيبُ لبعضها، ثم يعابُ عليه بعد ذلك. . .

هذا إذا كان الأدبُ موجهاً إلى الكبار، لكنه عندما يخاطبُ الأطفالَ سيختلفَ الحالُ حيثُ سنجدُ لغةً مبسطةً ترفعُ كلَّ حجابٍ، واضحة تماماً بحيثُ تكونُ الكلمات المستعملةُ من معجم الأطفال، أو أكثر بقليل؛ لأننا نهدفُ إلى تربيةِ الذوقِ الأدبي وإنماء الفكر الأساسي، وتأصيل الفكر الثقافي لدى الأطفال مهما يكنْ من أمرٍ فإننا سنتجولُ بين نصوصِ شعرِ الطفل لنرسمَ خارطةً معرفيةً نستكشفُ من خلالها الطريقةَ التي يؤدي بها الشعراءُ معانيهم. . .

نقرأ قول شوقي في قصيدة الرفق بالحيوان[1]:-

الحيـوانُ خَلْقٌ ... له عليـكَ حَقٌّ
سَخَّرَه اللّه لكا ... وللعبـاد قَبلَكا
حَمُـولةُ الأثقالِ ... ومُرْضِعُ الأطفال

١- راجع ديوان شوقي للاطفال ج٢ ص ١٩١ .

ومُطعمُ الجماعةْ وخادمُ الزراعـــةْ
مـــن حقّه أن يُرْفقا بـــه وألا يُرْهَقـــا
إن كَلَّ دَعْهُ يَسترِحْ وداوه إذا جُــــرِحْ
ولا يَجُعْ في داركا أو يَظْمَ في جوارِ كا
بهيمـةٌ مسـكينُ يشـكو فلا يُـبِـينُ
لسـانُه مقطـوعُ ومـا لـه دُمـوعُ!

فنجدُ الشاعرَ يقدمُ كلماتٍ بسيطةً، وقد حملت معانيها دونَ إسرافٍ أو توغلٍ، وذلك بهدف تربية وتنمية الملكات اللغوية لدى الطفل، وتأصيلها بشكلٍ دقيقٍ مباشرٍ، ولعلها رؤيةٌ ثاقبةٌ من الشاعر؛لأنَّ الشعرَ موجَّهٌ إلى الطفل لغرضٍ تعليمي إذ يكون اداة التفكير والتفسير للعديد من المفاهيم والمعارف.

ثم ننظر إلى المسالكِ التعبيرية في المقطوعة، ودلالاتها الإيحائية فنجدُ الشاعر قدم َجملاً قصيرةً، تفاوتت أنواعها مابينَ اسمية مثل: "الحيوان خلق"، "له عليك حق" ، "لسانه مقطوع" فقدمت - على إيجازها، ولعله مطلبٌ أساسيٌ -قيماً فكرية عالية منها أن الحيوان مخلوق من المخلوقات له علينا حقٌّ،وهو الإرفاق به؛لأنه مهما تألم،فإنه يتجشمُ لكنه لايعبُر عما يحسُّه من ألمٍ

كذلك فإنَّ الجمل الفعلية مثل "سخره الله، وغيرها" تأتى أهميتها في إسناد الفعل إلى فاعله لتحقق قيمةً إيمانيةً ترسيخيةً ممثلةً في الإيماء إلى تدعيم الوحدانية ومعرفة الطفل أنَّ الله خالقٌ قادراً على كلِّ شيء.

إن كثرةَ استخدام الجملِ الخبرية بأسلوبِ تقريريٍّ مباشرٍ يثبتُ هذه المعاني في الذهن، كذلك نرى أن الشاعر استخدم الأفعال المضارعة (يرفقا ، يرهقا، يسترحْ، لايجع، يظْمَ، يشكو، يبين)- لندلَّ على استحضارِ الحدث، وتجدده واستمراره، واسترجاعة بكلِّ صوره على عقلِ الطفلِ بشكل لا إرادي.

أيضاً فإن استخدامَ الشاعر المشتقات المتمثلة في اسم الفاعل (خادم، مُرْضِع، مطعم)، وصفته المشبهة به "مسكين" لتدلَّ هذه الأسماءُ على أفعالها، وتقومَ بها في إيجازٍ دقيقٍ متناسبةً من الإدراك الطفولي وإمكاناته المتواضعة...

إنَّ المجئَ بالأسماءِ دالةً على أفعالها قائمةً بما يتوافقُ -ضمناً- مع قدرات الطفلِ ذات الطابعِ الترددي خشيةَ انطماسها في تراكماتٍ كلاميةٍ وتراكيب ممتدة يضيعُ معها ثبتُ الطفلِ، ونظرهُ النافذُ الثاقب، وتأملاتهُ.

وننظر إلى أسلوب القصر "له عليك حقٌّ" حيثُ قدمَ الخبرَ له على المبتدأ ليقصر الحق على الحيوان وفمن وفائدة هذا القصر أنه حددَ، وخصصَ وأكَّد؛ وكون الشاعرِ يقصُر الحقَ للحيوان دونَ غيره؛ فهذا يقدمُ دلالةً فكريةً مفادها: أن الحيوان لايعقلُ ولا يدركُ، إذن ففهو مخلوقٌ ضعيف....وهكذا فإنه يقدم المعني مصحوب بالدليل العقلي.

كذلك فإن في تقديم الفعل "يجوع" على يظمَ يعطى مفهوماً برهانياً يكمنُ في أن الجوعَ متطلبٌ أساسيٌّ قد يغني عن الظمأ لكن الظمأ- في اعتقادي- لايغني عن الجوعِ شيئاً...

على كلِّ حالٍ فإن مُجئَ المستوى السردي متضامناً متوافقاً مع المستوى الإيقاعي يستثير عقلَ الطفلِ، ويحركه في حيوية، وانطلاقةٍ استشرافيةٍ مستقبلية.

نقرأ قصيدة النيل لشوقي[1] التي يقول فيها:-

النِّيلُ العَذْبُ هو الكَوْثرُ	**والجنــةُ شــاطئه الأخضَرْ**
ريَّــانُ الصَفْــحَة والمنظر	**ما أبهَى الخُلدَ وما أنضَرا**
البحرُ الفَيَّــاضُ ، القُدْسُ	**الساقي الناسَ وما غرَسوا**
وهو المنْــوالُ لما لبِســـوا	**والمُنْعِــمُ بالقطــنِ الأنْــوَر**

١- ديوان الاطفال لشوقي ح٢ ض ١٩١.

جعــلَ الإحسانَ له شَرْعًا | لم يُخْلِ الواديَ من مَرْعى
فترَى زرْعــاً يتلو زرعا | وهُنــا يُجنَى، وهُنا يُبْذَر
جــار ويُرَى ليس بجــارِ | لأنــاة فيــه ووقـــــار
يَنصَـبُّ كتَــلٍّ مُنْهــارِ | ويَضِــجُّ فتحسَبُه يَزأر
حَبَشــيُّ اللَّــوْنِ كجيرته | مـن مَنْبَعــــه وبُحيـرَته
صَبَغَ الشَّطَّيْن بسُـمْرَته | لونًــا كالمسـك وكالعَنبَر

فنراه يصفُ لنا النيلَ في عذوبته، والزرع والخضرة على جانبيه بنهر الكوثر أكبرِ الأنهار في الجنة... إنَّ هذا النيلَ منظرُه جميلٌ، فيه بهاءٌ ونماءٌ يعطي بلا حدودٍ، أو قيودٍ؛ فتظهرُ الأرضُ بعد أن ارتوتَ منه، وصارت تجودُ بمختلف الزروعِ والثمارلا سيما القطنُ - الذهب الأبيض، وغيره من الخضرة التي كانت مأوى، ومرعى فهؤلاء يزرعون، وأولئك يحصدون في سعادةٍ ويسرٍ.

فالنيلُ- ذاك النهر العظيم الجاري مياههُ متجددةٌ إذ تنسابُ أمواجهُ في تأنٍ وهدوءٍ ووقارٍ، وثقةٍ واقتدارٍ إنه ينصبُّ في قوةٍ أشبهَ بالتلِّ عند انهياره كذلك فإنه -وهو ينحدرُ- يصدر صوتاً كزئير الأسد فمن الحبشه حيثُ انطلاقة يمدّ -هذا النهر- كلَّ الأراضي التي تترامى على مرمى البصر بالماء العذب.

ننظر إلى الألفاظ ودلالاتها، ومارسمته- في أكثر من صورة شعرية فنجد التشبيه المركب في البيت الأول حيثُ شبه النيل في شاطئيه بالكوثر أكبر أنهار الجنة.

ثم ندعُ هذا التشبيهَ- من جانبه الفني، وننظرُ إليه من جانبٍ موضوعي-فنقولُ:كونُ الشاعرِ يقدمُ صورةً تحقق ترابطاً حياتياً وأخروياً- فالنهر في دنيانا، والكوثر في أخرانا فإنه داعٍ بارعٌ حيثُ يجعل الطفل متعلقاً بالجنة وإنهارها، ودائماً مايتخيلها في ذهنه؛ فيسعى إليها ولكن بالعمل الصالح.

١- ديوان السمير الصغير ص١٧

ثم نري بعد ذلك الشاعر يقدمُ لنا لوحّة فنيةً ممتدةً وقد وفر لها كلٌ عناصر نجاحها لاسيما خطوطُها الرائعة المثلة في الصوت الصادر عن الأسد -هو الزئير واللون في حبشي اللّون، والسمرة، والصبغة، والمسك والعنبر و . . . . . والحركة في جارٍ، ينصب، يضج.

يبقي أن نتحدثُ عنَ المسالك التعبيرية هنا فنقول:

لقد جاء الأبيات متضمنةً جملاً خبرية لتقررَ المعنى في الذهن بشكل حسيٍّ مباشرٍ . . . والصورُ أيضاً - جاءت عفويةً حيناً، ومتكلفةً مركبةً حيناً آخر؛ لكنها استطاعت أن تنفذَ إلى قلب الطفل وعقله.

وإذا كانت هناك صعوبةٌ فمصدرها يكمن في تراكيب الألفاظ وسياقها التى جاءت مشكلة حيناً إذأن الألفاظَ مفردةٌ سهلةٌ بسيطةٌ لكنها في السياق تصبح معضلةً عسيرةً على الطفل.

مهما يكن من أمر فإن البيت الأول بدأ بالنيل معرفاً؛ لأنه لو قال "نهر" فإنها تطلقُ على كلٍّ ما يصدقُ عليه مسمى نهر إذ يشترك في الكلمة كل الأنهار لكنهُ جاء بالنيل معرفاً علماً حيثُ لا يشاركه أو ينازعه غيره في المسمى، ثم خصصَ النيلَ بصفةٍ رائعةٍ وهي العذب.

وفي البيت الثاني يقدمُ لنا أسلوبين تعجبين الأول: ما أبهى الخلدَ. الثاني ما أنضرَ، ومثل هذه الأساليب التى يلجأ إليها الشعراء تكون للتعبير عن شئ فإنها تثير المشاعر والأحـــاسيس للطفل فتحققَ المتعةَ ، والتشوقَ بالإثارة. . .

إن اللافت للنظر هو قول الشاعر: جارٍ حيثُ نجدُ التعقيدَ اللغويَّ هنا بحيثُ يصعبُ أو يشكلُ على الطفل فهمهُ هنا؛ لأنَّ الطفل لن يدركَ هذا اللغز اللغوي إلا بوسيط أو شارح. فالطفل لايعرف قواميس اللغة حتى يذهب إليها

ويستشيرها فتعطيه مايريدُ من أفانين القول والتعبير . . .

إذن فلماذا نهجرُ قاموسَه البسيطَ . . . ؟

هذا ولا يفوتنا القول :إن القيمةَ الموضوعيةَ التي ذهبت إليها الأبيات تنمُّ عن أهداف تعليمية كبرى متمثلة في تقديم سياحةٍ معرفيةٍ، وحولةٍ في المعاجم التاريخية والجغرافية ؛لأنه عرَّف النيل تاريخاً ومكاناً . .

نذهب إلى النيل عن محمد الهراوي حيثُ يقول[1] . .

النيلُ سلسبيلُ ليس له مثيلُ
نهرٌ كريمٌ طيبْ يروى الثرى فيخصبْ
واديه روض أخضرْ ينسابُ فيه الكوثرْ
يفيض بالإحسان في مصر والسودان
والنيل في القطرين حياة توءمين
فليحيى نيل مصرا مدى الزمن حراً

فنراه يستخدم ألفاظاً سهلة عذبة تتسم بالبساطة في معظم أبياتها ولعلها تتمشى مع مفهوم ولغة الطفل. كذلك جاءت الجملُ قصيرةً متنوعةً بينَ الاسمية والفعلية بحيثُ قدمت المعاني بشكلٍ مباشرٍ لتكون الفكرةَ المرجوةَ وهى وصف النيل وفوائده . .

هذا وإن كنا نرى أن (سلسبيل - الثري - يخصب) ألفاظ تشكل حجر عثرة في الوصول إلى فهم الأبيات ولابد أن تخضعَ للتنقيح بهدفِ تهذيب الأسلوبِ قدرَ الإمكان،والنزول به إلى مستوى الصغار، مع الاحتفاظ بالحساسية الفنية، والقدرة التعبيرية لها .

لكن القارئ لقصيدة أو مقطوعة الكتاب[2] للهراوي

١- ديوان السمير الصغير ص٩ .

٢- أغاني الأطفال محمد الهرواوي ط ١ ص١٩٢٨ .

أنـا فتـى ذو أدب	**أقرأ خير الكتب**
إن غابت الأصحاب	**فصاحبي الكتاب**
فيـه حديث السـمر	**مزينــاً بالصـور**
يحـلو بـه البيـان	**ومـالـه لسـان**
كم قصّ لي حكاية	**لطيفـة للغـايـة**
يـروي لي الأشـعارا	**والأدب المختـارا**
فالعلم في السـطور	**يسري إلى الصدور**

يرى أن الشاعر وُفِّقَ إلى حدٍّ كبير في استخدام أدواته اللفظية، ووضعها في سياقها اللغوي ؛لتحقق أهدافها في بناء لغة الطفل، وتنمية إدراكه وتشكيل ذوقة الفني، وقدرته على إثراء ماعنده.

لقد استخدمَ -في مفتتح قصيدته - الضميرَ **"أنـا"** ليحقق له خصوصاً ذاتياً، ومشاركةً فاعلةً؛لأن الطفلَ- مجرد سماعه، أو قراءته للضمير**"أنـا"** يشعرُ أنُه المعنيّ، أو الموجَّة إليه الحديثُ، وبالتالي يصغي إلى كلِّ ما يوجهُ إليه الشاعرُ من نصائحَ؛ لذا بعدها يقول: **"ذو أدب"** أي صاحب . . . ولما يكونُ الطفُل قائلاً ؛ -ومفصحاً عنه نفسه- **"أنا ذو أدب"** فإنه لن يُقْدِمَ على خطأٍ إذن فالضميُر أيقظَ مشاعرَ الطفل، وتجاوب مع حالته النفسية ، محققاً لطموحاته، ومزاجه النفسي تفاعلاً وجدانياً رائعاً إيجابياً.

بعد ذلك استخدمَ الشاعُر كلمةَ "الأصحاب" ليرسخَ لنا قيماً تربويةً واجتماعية متمثلة في تقرير معنى الصداقة، والمؤاخاة في الذهن. هذا ولقد جاء بالأصحاب جمعاً، ومعرفة "بأل" لتوحي بكثرة الأصحاب، وأنهم ليسوا بمجهولين.

واستخدمَ الشاعرُ الفعلَ "غابت" ليؤكد-أن للطفل أصحاباً لايستطيع

العيشَ دونهم؛ لأنه نسيجٌ من مجتمعٍ متكاملٍ لايستطيع أن يحيا بدون جماعة مهما توفرت له الظروف. ولبيان مدى أهمية الكتاب وصفهُ "**بالصاحب**" ثم ربط بينهما بياء المتكلم للملكية والتخصيص، والربطُ -في حد ذاته- يؤدي معنًى من معاني الصحبة.

إن اختيارَ الشاعرِ لفظة "أصحاب" لأنها تعنى كلَّ شئ للطفل هذا بالإضافة إلى مافي الصداقة من أكتساب لغة حيث إن اللغةَ حيثُ تكتسبُ بالمران والدربة كونها تكسبه القاموس اللغوي؛لأن اللغة كائن حي ينمو ويتطور بالمران والممارسة.

هذا ولا يفوتني القول: بأنَّ الألفاظَ في هذه المقطوعةِ قدمت -في سهولتها وبساطتها، وإنسيابها في سياقها اللغوي- مدلولاتِها الفكريةَ، وأهدافها المعرفية... ومن الأناشيد الإيقاعية السهلة الألفاظ ذات المأخذ البسيط نقرأ قول محمد[1] الهراوي:

أشرقت شمس الضحى في السماء في السماء
أشرقت شمس الضحى في السماء الصافية
وهي تعطي من صحا صحة... صحة

حيثُ عمد الشاعر إلى استخدام الأسلوب التكراري في عرضِ الكلماتِ داخلِ البناء الشعري، وتراكيبه اللفظية، والفنية بغرض الإفهام، والإدراك المعرفي الذي لا يتأتى نتيجة التوغل والإبحار في مدلولاتها، وإنما بالتسلط المستمر؛لأن في تكرار الكلمات إلحاحاً مستهدفاً، وطرقاً مستأنساً على ذهن الطفل ليحقق مستوبين على شكل وحدتين متساويتين

١-أغاني الأطفال ط ١ صـ٩ سنه ١٩٢٨م.

(في السماء) (في السماء.)

الأول : التأكيد بالإيقاع الموسيقى الذي يقوم بدوره في إيجاد التآلف والتجانس الدافع إلى الإيلاجِ على أعتابِ الدلالةِ.

الآخر : شرح ألفاظ جديدة داخل السياق أو البناء اللغوي.

كذلك فإنّ إسنادَ الشاعر "الصحة" إلى فعله "صحا" ليقدمَ قيمةً معرفيةً وفكريةً جديدةً، وتعلميةً للطفل حيثُ إن قرن "الصحو" -أى الاستيقاظ المبكر بالصحة والعافيه يعلّمُ الطفلَ أن الاستيقاظ المبكر هو برهان على الصحة...

والنصُّ السابقُ يتفق مع نشيد "الصباح " للشاعر أحمد سويلم[1] الذي يقولُ فيه :

كوك كوك كوك　　　هذا صوت الديك
يشدو كلّ صبـــاح　　　حي على الفـلاح
طلعت شمس اليوم　　　فوداعـــاً للنـــــوم

حيثُ جاءت الألفاظ جميلة مؤنسة تترددُ بكرةً وعشياً على عقلِ كلِّ طفلٍ؛ لأن الشاعرَ التقطَ له صورةً تقعُ عليها عيوننا صباح مساء سواءً أكانت البيئةُ ريفيةً أو مدنيةً... فمسألةُ تربيةِ الطيورِ إن كانت مطلباً حياتيًا أو معيشياً في الريف فإنه صار -أيضاً-لازمةً في المدينة فإن لم يكنْ لحاجةٍ فهو لمزاحٍ نفسي...

إذن فإن صوت الديك، وصورته ليسا بخافيين على الطفل لذلك فإنّ تكرار لفظة "كوك" ثلاثة مرات فهي للاستحضار والاسترجاع والتنبيه بهدف الاستدراك،هذا ولم يتوقف عند هذا الحد من الغوص في المجال الإدراكي بل رأيناه استخدمَ كلَّ ما انجدته بديهته ليربطَ لحظةَ الإدراك بالالتفات السريع

١- التربية الحركية والموسيقية ط وزارة التربية والتعليم.

وذلك عن طريق اسم الإشارة "هذا" لإثارة الذهن، ثم جاء بالخبرَ وهو "صوت" مضافاً إلى "الديك" نسباً مؤكداً. . من هنا فإن البيت الأول جاء رائعاً حافلاً بارعاً قدم الصوت فيه على الصورة ليحقق للطفل مساحة واسعة يتجول فيها خياله ؛ وينساحَ في مجاهل الاحتمال أو الفرض؛ لأن الطفل يحب المحاكاة والتقليد...إنه مجرد أن يسمع صوت الديك أو يقرأ "كوك" فسيعلن عن رغبته الجامحة في الاستمرار ، والاستزادة في الخبر. . .

عوداً على بدءٍ فإن استخدام الشاعرللديك هو ملائم تماماً لنفس الطفل. فالشاعر ابن بيئته يتأثرُ بها، وتؤثر فيه. . . فهي التي تلونه، وتحدد قيمهُ الأخلاقية،وتطلعاته الاجتماعية. . .

ننتقلُ إلى الشاعرِ يس الفيل في قصيدة [1]" ما أروع الصباح" إذ يقولُ فيها:

ما أروع الصبــاح	يعزى على النجــاح
الطير في انشراح	يدعــوك ياإلــهي
تكبيره المــــآذن	وصحــوة المداخـــن
والمـوج والسـفائن	يدعــوك يــاإلــهي
الكـل في بـلادي	مـــن رائح وغـــاوي
في معهـد ونادي	يدعــوك ياإلـــهي

فنرى اللغة السهلة المتمثلة في الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالقيم الروحية -كذلك الجمل فإنها جاءت قصيرة سريعة متفاوتة بينَ الاسمية والفعلية مؤكدةً على المثل والأصالة.

أخيراً نقرأ قصةَ عنقود العنبِ لكامل الكيلاني[2] حيثُ يقص علينا فيها

١- النشيد فاز به الشاعر في مسابقة الأناشيد بإشراف وزارة التربية والتعليم سنه ١٩٨١م.
٢- حكايات الأطفال جـ٤ صـ٣٢ .

قصةُ عنقود العنبْ **عجيبةٌ من العجَبْ**
وطرفةٌ من الطُّـرف **وتحفةٌ من التحف**

****

تردع كل خائن **همٌّ بفعل شائن**

حيثُ عدَّها مثالاً يجبُ على كل طفل أن يحفظه حفظاً حتى يتعلم الدرس جيداً،هذا ولقد وصف حالة بطلته سميرة فقال:

قد أقبلت سـميرةْ **واجمــةً حسـيرةْ**
وفكـَّرت مليـّـا **ثمَّ اعتلت كرسـيَّا**
وهـى ترومُ العنبـا **ما استأذنت فيه أبا**
واندفعت في جُرمها **مــن غير إذن أمِّها**

ثم نراه يصفها وهي مترددة بين إقبالٍ وإحجام فقال

ثمَّ تعـود حـائرة **للببغاء ناظـرةْ.**
فقـالت الببغـاء **"أسـأت، ياحمقـاء"**

****

ياسُوءها من قصّةْ **إنْ قيـل عنْك : لعنةْ!**
خـائنةُ العهـود **سـارقـةُ العنقـود**

وفي نهاية القصة يبرزُ الشاعرُ مدى إحساس بَطلته بالذنب، وعزمها على الاعتذار، وأملها أن تقبلَ أمُّها هذا العذرَ.

وباستعراضنا ما سبق. يمكننا أن نخلص إلى أن الأداءَ الشعرى- مجملاً اتسم بالثبات عند معظم الشعراء، فلم ينزلْ إلى درك الإسفاف، والابتذال اللغوي أو الاستعمال الشعبى باللغة الدارجة في سائر الأشعار، ولم يجنحْ إلى استخدام الألفاظ المعقدة التي تفوقُ التصورَ في جزالتها ورصانتها - بل استخدم لغة بسيطة تتسمُ بحسن منطقها، وجلال معناها. فالهدف الأسمى من

شعرِ الأطفال هو تنميةُ قاموسهم اللغوي، وأحاسيهم الخاصة كذلك فإنه يؤصل التذوق الأدبيِ للأطفال، ويستثمر خصائص اللغة البسيطة في تقديم قيم أدائية تعبيريةَ . .

على هذا فإنه يجبُ أن تكون لغةُ الشعرِ المقدمةُ للطفل بسيطةً خاليةً من المفردات الصعبة، أو غير المألوفة؛ لأن مثل هذه المفردات ستقدمُ إشكالاتٍ تقفُ حائلاً بينَ إدراك الطفل،والسبيلِ إلى فهمها . . . والطفل ليس مؤهلاً للتعامل مع معاجم اللغة ليستشيرها . . . .

كذلك فإنه يجب أن تكونَ الكلماتُ غيرَ متنافرةِ الحروف؛ لأنها لو جاءت كذلك لصارت لفظة مستكرهةً يصعبُ على الطفل نطقها، والاستئناس بها ثم إدراكها فكثيراً ما نجدُ في مناهج النصوص الأدبية ألفاظاً تضمنتها الأبيات وتبقى- مهما قربناها وحللناها- مستغلقةً . . .

ومن الأشياء التى يجبُ على شعراء الطفل الالتفات لها هي نبذُ الألفاظ الحوشية الجافية،والعامية المبتذلة . . فالو سطية في الأسلوب تصبح مطلباً أساسياً بحيثُ لايرقى إلى التقعر، والفذلكة، أو يهبط إلى الإسفاف .

من هنا فإن شاعر الطفل لابد أن يتمتع بحاسة الانتخاب الدقيق لمفردات اللغة أو للألفاظ التي تحقق الموسيقى و . . . فالهدف من الشعر تعليمي . . .

وفي الأساليب نرى أن مثل أساليب الطلب "الأمر والنهى" يجبُ ألا يتعاملَ معها ،أو يسرفَ فيها كثيراً حتي يجدَ الطفلُ -في واحة الشعر الغناء ملاذاً مقابلاً للأوامر الأسرية التى قد تتسمُ -أحياناً- بالجفاء، والغلظة المنفرة، ومتنفساً، وإشباعاً لضالتة مقابلاً للتراكمات المنهجية الدراسية الكثيفة . . . .

أيضاً فإن الأسلوب يجبُ أن يكونَ بسيطاً منطلقاً غنياً بصوره الموحيةِ ومليئاً بالحوارِ الذي يلائمُ الطفلَ . . . على كلِّ حال فإن الأطفالَ أنفسَهم، وردودَ أفعالهم هي التي تساعدُ على اختيارِ أفضلِ الأعمالِ .

تعدُّ الصورةُ الشيءَ الثابتَ في الشعرِ عامةً؛ لأنَّ الأسلوبَ قد يتغيرُ، كما تتبدلُ أنماطُ الأوزانِ، لكن التعبيرَ بالصورةِ يبقى متماسكاً متسماً بخاصية الثبات، وذلك منذُ أن تكلمَ الإنسانُ البدائي شعراً، ولعلَ قولَ الجاحظ- "إنما الشعْرُ صناعةٌ،وضربٌ من النسجِ، وجنسٌ من التصويرِ"- يؤكدُ صحةَ ماذهبنا إليه.

هذا وتعدُّ الطبيعةُ- بكلِّ ظواهرها- المصدرَ الأساسيَّ الذي تسترفد منه الصورةُ مكوناتها حيثُ تمدُّ : الشاعرَ بكلِّ ما يريدُ من رسم الصورةِ... فهي أهمُّ مصادرِالإلهام للشعراء حيثُ نجدُهم غالباً مايزاوجون بينها، وبين أنفسهم لاسيما عندما تتمالكهم مشاعرُ الغبطةِ والخوف، أو الرجاءِ والحزن... لذا فلقد أطالوا فيها، وفصَّلوا فيها حتى صارت تمثلُ الحالاتِ النفسيةَ الصعبةَ التي يعاني منها الشاعرُ حتى رأيناها الباعثَ الملهمَ، وبنيةَ الفنِ الأدبى لدى الشعراءِ، ومنُطلقهم الفني.

من هنا فإنَّ لجوءَ الشاعرِ للطبيعة- كما قلنا- ليس إلا لضرورةٍ تتمثلُ في إمدادها للشاعرِ بتشبيهاته حيثُ ينسجُ - من خياله- خيوطَ مناظرها التي تراءت له في كلِّ الصور...

نتوقفُ عن هذا الحد لنتساءلُ فنقولُ: هل يقفُ شعرُ الأطفال مع شعر الكبار على قدم المساواة في استخدام الصورةِ، أم أنَّ هناك منزعاً خاصاً للشعراء حينما يعبرون بشعرٍ للأطفال"

لاشك فإنَّ الإجابةَ هنا ستأتي بالنفي؛لأنَّ الشعرَ الموجهَ للأطفال هو في أغلبه تعليميٌّ يفتحُ مجالاتٍ إدراكيةً،ويقدمُ أسساً فكريةً، وواحاتٍ ترفيهيةً بقصد المنفعةِ والمتعةِ أو التسلية أمامَ الطفل، وليس ضرباً من التعجيزات

التعبيرية التي تستغلقُ على فهم الطفل، وإدراكه، وخيالة البسيط.

ونحاولُ أن نكشفَ ملامحَ أو أبعادَ وقسماتِ الصورة لدى شعر الأطفال فنجدُ أنها لم تصلْ إلى حدِّ الاستعارات، والتشبيهات المركبة، أو الكنايات والمجازات؛ لأنَّ قدراته التخيليةَ لن تستطيعَ التعاملَ مع ماسبقَ، وفكَّ رموزه البيانية .

إن مثلَ هذه اللغة السحرية البيانية لا توجدُ في معجم الطفل اللغوي، لأنَّ اللغةَ لازالت في طفولتها، وبواكير دلالاتها، تحبو على لسانه، وهي في معانيها الحقيقية... فكيفَ ننقلُها إلى معاني مجازية غير التى وضعت لها في اللغة سواءً أكانت لعلاقة المشابهة كالاستعارة، أو غير المشابهة كالكناية.

إنَّ الطفلَ- وهو في مراحل النمو-يجبُ أنَّ تنموَ اللغةُ معه بشكلٍ تصاعدي متدرجةً معه بشكلٍ عمري آخذة بيديه إلى عالم الفهم والإدراك. أمَّا أن يسير الطفلُ في جانب، وتذهب اللغة - بخيالاتها المركبة -في جانب آخر بشكلٍ تقابلي فهذا يعني أنها قفزةٌ في الظلام لا تؤتى بثمارٍ...!!

فمثلاً إذا قلنا له على سبيل الاستعارة- قول الشاعر أبي العتاهية

أتتهُ الخلافةُ منقادةً إليــــه تجـرِّرُ أذيالَها

يفهمُ من البيت أنَّ الخلافة ماهي إلاَّ حيوانٌ منقادٌ كَلٌّ على مولاه، أينما يوجْهه يسر. هذا الحيوانُ له أذيالٌ لكنه لن يغوصَ إلى فهم هذه الاستعارة، وما تقدمه من إيحاءاتٍ ودلالاتٍ وجمالياتٍ...

كذلك نتخيلُ أنها لو قلنا لطفل : "أنت عريضُ القفا[1]، أو "جبــان الكلب" لغضب غضباً شديداً؛ لأنه تَعَرَ في الأولي أنَّهُ كبيرُ القفا، وأحسَّ في الثانية أنَّه جبانٌ، وربما كلب من هنا فإننا نودُّ أن تأتيَ التشبيهاتُ بمواصفاتٍ

١- عريض القفا كناية عن الغباء.

معينةٍ على قدر حاجات الطفل الإشباعية من الإدراك المعرفي والوجداني، وتلبيه لقدراته التخيلية دونَ إسرافٍ أو غلوٍّ. . .

معني هذا فإن التشبيه يجبُ أن يكون مفصلاً أو مجملاً مع الحذر في استخدام أدوات التشبية بحيثُ تكون بالأداةُ "الكاف" أو "كأن"، كذلك فإنَّ المشبه به يجبُ أن يكون مألوفاً تقعُ عليه عينه حتى لا يشكل تعقيداً معنوياً إننا إذا قلنا له : محمدٌ كالأسد

في الشجاعةِ عرف أنه يشبهُ الأسد في صفة الشجاعة. . .

وبالتالي فهمَ المدلولَ، وعرفَ المرادَ. . . وعلى ذلك يتحقق الهدفُ المنشودُ أمَّا إذا قلنا له : "**أنت أسدٌ**" فربما يغضبُ لماذا؟؛ لأنه يرى أنَّ الأسدَ مهما كانت شجاعتهُ فهو حيوانٌ قد لايودُّ الطفل أن يتشبَّه به مطلقاً لاسيما في مرحلة الواقعية من ثلاث إلى خمس سنوات فإنه لايعرف قوه الأسد وبالتالي لايقف على شجاعته . . .

على كلِّ حالٍ سنحاولُ أنْ نطوِّفَ بشعرِ الطفوله فنقرأ قولَ شوقي[1] في المدرسة

أنا المدرسةُ اجعلني كــأمٍّ لا تمــلْ عنّــي
ولا تفزع كمـأخوذٍ مــن البيت إلى السجنِ

حيثُ نراه أتي بالمدرسة في البيت الأول مشبهاً، وأداة التشبية "الكاف" والمشبه به "الأم" ولأن الشاعرَ هنا يعلمُ مدى الارتباط الوثيق بينَ الأم وطفلها إذ لا يقلُّ عن الارتباطِ الوثيق بينَ "المدرسة" والطفل؛ فلقد أتى بالمشبه "المدرسة" ثم أتى لها بالمشبه به "**الأم**" وهي أحبُّ ما تكون إلىَ نفسه حيثُ إنهما يتفقان في المنفعة . فالمدرسة تمدُّ الطفلَ بالنفعِ؛ فتنيرُ عقلَهُ بالعلوم

١- ديوان الأطفال لشوقي ح٤ ص١٨٨ .

والمعارف والآداب التي تُنمي عقله، والأم مصدرُ الحنان والحبِ، والعطف على ولدها فتربيه أحسنَ تربيةٍ، وتحنو عليه في إشفاق وعطف كبيرين.

إن اختيار شوقى للمشبه به جاء رائعاً لأنه استخدمُ لفظةً- هي لدى الطفل- واحةٌ غناءٌ وسيلةٌ وغايةٌ، وأمنٌ ومأوى، وسخاءٌ ورخاءٌ... فهي منبعٌ للحب والخير، وكلُ شئٍ طيبٍ ولكى يحب الطفلُ المدرسة فإنّه شبهها بالأم

ثم ننظر إلى البيت الثاني، وندقق في الصورة التي رسمها الشاعرُ حيثُ شبه الطفل الخائف الذي لا يريد المدرسة بالمخطئ الذى يُؤخذُ إلى السجن حيثُ جاءَ المشبه به منفراً مخيفاً مفزعاً بحيث لايقدم إلا صورة مستكرهة مستغربة تأتى بالوحشية والرعب على الطفل.

ونقرأ قول محمد الهراوي[1] في الترام

مَـــركَبَة التـرام تســــيرُ بانتظـام
تجتازُ كالسـفينةْ شـــوارع المدينةْ

فنرى المشبه عربة " الترام" وهى تسيرُ بانتظامٍ وسطَ شوارع المدنية المزدحمة بالسفينة التى تسيرُ في البحر، فالمشبهُ والمشبهُ به كائنان تقعُ -على المشبه به- عيونُ الأطفال، فالسفينة معروفة...

على كلٍّ حالٍ فإنَّ المشبه به يجبُ أن يكونَ مألوفاً شائعاً، ولا يكونُ غريباً، فمثل قول شوقي في قصيدته "الوطن"

لقد رأيتُ حولَ صنـ ـعاء وفي ظلِّ عَدَن
خمـائلاً كـأنهـا بقيِّـه مـن ذي يـزن

حيثُ نراه هنا قد جاء بالخمائل ولعلها هنا الكسوة الجميلة، والمشبه به كسوه ملوك أهل اليمن ومن أمثلتهاكسوة ذى يزن، والتشبه هنا بعيدٌ ومعقدٌ

١- أغانى الأطفال صـ٢٢ .

على الطفل يتطلب منه سياحةً معرفيةً، وتجوالاً مع التاريخ القديم، وهذا أمرٌ شاقٌ على نفسه ليس مطلوباً منه في حينه كذلك ننظر إليه وهو يشبه ولد الغراب في قوله :

ليس الرّماد على سـوا   د جناحِه والمفْرِقِ
كالفحم غادر في الرّما   د بقيّةً لم تحـرقِ

وذلك بالفحم، والطفل قد يرى الغراب لكنه يجهلُ صورةَ الفحمِ هذا من جانبٍ، لكنه على جانب آخرِ أتى بالتشبيه المركب، والأمر لا يختلف كثيراً مع الشاعر محمد السنهوتي في نشيد "مدرستي" حيثُ يقولُ[1]

أنا يا مدرستي غرسُ يديكِ   أنتِ قيثاري وأطيارى وأيكي

فنراه يذكر لنا "غرس" والطفلُ قد يجهل معناها كذلك تشبيهه المدرسة بالقيثارة والأطيار والأيك والحق أنه لا يعرف مدلولاتها فكيف يرسم صورها في ذهنه . . .

خلاصة الأمر فإن الشاعر عندما يرسمُ بالكلماتِ صوراً للطفل فإن المشبه به يجبُ أن يكونَ ماثلاً بحيثُ تقعُ عينُ الطفل عليه كذلك فإنّ التشبيهَ يجبُ ألاّ يتعدى مشبهاً ومشبهابه تناسباً مع قدرات الطفل ميوله وفكره وفكرى وتمشياً مع ملكاته حتى يقدمَ له إضافةً هادفةً، ومثلاً يُحتذى به في حياته . . .

هذا ولا يفوتني القول بأنّ اللغةَ- باعتبارها مظهراً من مظاهر التجربة في مستوي الوعي- تظهرُ إلى حيز الوجود في الوقت الذي يظهرُ فيه الخيالُ، أى أنها-في حالتها الأصلية أو الفطرية-تتسمُ بأنها خياليةٌ أو تعبيريةٌ تعني بتحديد مهمتها كما أنها فعل خيالى يقوم بالتعبير عن الانفعالات.

إذن لامانع من استخدام الخيال ولكن في أبسط صوره وأزهاها.

١- النشيد هذا هو الفائز بالمسابقة القومية للأناشيد سنه ١٩٥٧م.

الفصل الرابع

الخصائص الموضوعية لشعر الطفل

تنوعت أغراضُ شعر الطفولة، وتعددت ألوانها، بما يكفل تنيمة الطفل إدراكياً ، ومعرفيّاً ،ومهارياً ،وتثقيفياً، وتربوياً، وتهذيبياً واجتماعياً، ولعل هذا يدلُّ على ابتكارٍ وتجديدٍ، وتحديدٍ يساير وجدان وعقلِ الطفولة بمراحلها المتتالية علماً بأن هذا التنوعَ ليس منزعاً تلقائياً بل هو اتجاهٌ مُنطقيٌّ مستهدفُ يلجأُ إليه الشاعرُ ليزاوجَ بينه، وبينَ نفسه التواقة إلى تربيةِ ذوق الطفل، وتنميته فنياً؛ لأنّ أدبهَ صارَ ضرورةً عصريةً ملحةً. أوجبتها الظروف والملابساتُ الأجتماعيةُ المعاصرة والعلمية المذهلة

من هنا يصبحُ شعرُهُ وسيلةً تعبيريةً تحملُ أفكارهَ، وغايةً تنطوى عليها مضامينه وأهدافه التي يبثُّها في شعرْ.

على كل حالٍ فلقد وزعَ المحتوى الشعري الخاص بالطفولة إلى العديد من الأغراض نذكرُ منها:

أولاً:الشـعرالديـني

عندما يتعانقُ الشعرُ مع الدين، ويمتزجا معاً سيصبحُان قوةً ذاتَ فاعليةٍ عظيمةٍ لها أثرُها على القارئ والمتأملِ معا.

عوداً على بدء فإنّ ما وصل إلينا من شعرٍ ديني يمكنُ أن يسجِّلَ -في عجالةٍ- إحصائيةً نوعيةً لهذا الغرض بحيثُ شمل الموضوعات الدينية كالعلوم الدينية متمثلةً في القرآن، والفقة،والتوحيد هذا بالإضافة للحديث، كذلك علوم الثقافة الإسلامية كالسيرة ، والتهذيب والآداب النبوية.

فما جاء يحثُّ على الدعوه إلى التفكير في الوحدانية والتأمل في خلق الله نجد قول الشاعر إبراهيم أبو عبادة [١] الذى يقول:

مـــن يُنبتُ الأشجار.
وينــــزل الأمطــــار.

١- راجع ديوان شدو الطفولة للشاعر الصادر عن مكتبة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض سنه١٤٠٧هـ

ويمـــلك الأعمـار.

هـذا هـــو الإلـــه.

ليس لـه أشـــباه.

ندعــوه فــي عــلاه.

نقــول يــا اللــــه.

فنراه يؤصل قيمةً توحيديةً بشكل يقينى استجوابى إذ يؤكد أن الذى يخلقُ الأشجارَ، وينزل الأمطارَ، ويملكُ أرواحَ الناس هو اللهُ الذى ليس له ندٌ أو شبيهُ أوْ مثيلٌ في الكون، ولطالما أنه خالقٌ ومالكٌ ورازقٌ وليس له شريكٌ في الكون،فإنه يستوجبُ منا العبادةَ الخالصةَ له، والدعاء الخالصَ له في كلّ وقتٍ.

إن تلقينَ مثلَ هذه القيم الإسلامية للأطفال، وترديدهم إياها بشكلٍ متكررٍ لجديرٌ بتثبيتها في الأذهانِ، وترسيخها في القلوب، ويضمنُ لها انعكاساتها الدؤوبةَ علي عقولهم. فالطفل يكتسبُ صفاتٍ، وعاداتٍ وتقاليدَ إسلاميةً رائعةً من هذا الشعر الدينى الموجِّه

وفي الحثِّ على القرآنِ، وقراءته نقرأُ قوله[1]:

قرآننـــا قرآننـــا | **به نفـوز في الدنُـا**

قرآننـــا نورٌ لنـــا | **فهو يضيئ دربنـــا**

قرآننا فخرٌ لنـــا | **وفيه نلـقي عـــزّنا**

قرآننا فيه الهدى | **أرواحـــانا لـه فـدى**

قرآننا فيه الشـفا | **لـــن ينهجه اقتفى**

قرآننا فيه العجب | **نلنـا به أعلى الرتبْ**

فنراه يؤكدُ أن القرآنَ هو نعمةٌ مهداةٌ، أنزله اللهُ تعالى لنفوزَ بالدنيا يعنى

١-انظر : المصدر نفسه.

الفوز برضا الله، فالقرآن نورٌ لنا أي يهدينا إلى الطريق المستقيم... وبه خصنا الله تعالى دون غيرنا من الأمم؛ لأنه نزلَ باللغة العربية لغتنا هانحنُ العربَ، إنَّهُ فيه هُذانا فعلينا أن نحافظَ عليه، ونعملَ بما فيهْ لأنه شفاْء لنا من كلِّ داءٍ، فهو يحوي كنوزَ المعرفة،والعلم بأمور ديننا، ودنيانا، فلم يتركْ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها.

لقدأ جادَ الشاعرُ عندما كررَ لفظةَ "قرآن" في كُل بيت، ثم أتى بها في كلِّ صدر جملة اسمية- وهذا أمرٌ له تداخلاته، وتداعياته التأملية على النص وجمالياته...

وفي الحثِّ على الصلاة، وضرورة تأديتها على أكمل وجهٍ نقرأ قوله[1] في أسلوبٍ يفيضُ زقةً:

نـادى بها المنادي	**فـي سـائر البـلاد**
أجيبـه إذا دعـا	**أمضى إليها مسرعاً**
فيها رضا الرحمن	**وراحـةُ الأبـدان**
اهتـمُّ بالصـلاةَ	**في خمسة الأوقات**
هي العشا والفجر	**والظهر ثم العـصرً**
وبعد ذاك المغـربُ	**الشمس فيه تغربُ**
فرضٌ على الإنسانِ	**دلالـةُ الإيمـانِ**

فنراه يؤكدُ ضرورة إيمانيةً حتمية رائعةً مفادها أنه مجردُ سماع المسلم الآذان من أيِّ مكان فهذا معناه أنهادعوةُ، تلبيتُها تكون مقصورةً على أداء الصلاة. ثم يعددُ أهدافها فيرى أنها صلةٌ للعبد بربه.. فيها يرضا اللهُ على عباده، كما أنها تطهرُ جسدَ المسلم من الأوساخ والأدران، كذلك فإنها تطهرُ نفسهَ.

١- راجع ديوان شدو الطفولة لإبراهيم أبي عبادة إصدارات مكتبة العبيكان للطباعة والنشر.

وهناك من الشعرِ الموجهِ للأطفال الذي يحثهم على طاعة الله عزَّ وجلَّ، والقيام بفرائضه على أكملِ وجهٍ ، حيثُ يفيضُ عذوبةً وإيماناً-قول الشاعر.

من صامَ وهو صغيرُ　　　والعمرُ زهرٌ نضيرُ
يشبُّ والقلبُ فيه　　　من طاعة الله نورُ
صباحُ العيد يُكبرنا　　　وهللنا وكبرنا
تجملنا وتعطرنا　　　وبادرنا إلى الصلوات

فنرى الشاعرَ يؤكدُ أنَّ الصيامَ في الصغر هدفُهُ عظيمٌ إذ يعَّودُ، ويعلمُ الطفلَ على الطاعةِ والصبروالتعليم في سنٍّ مبكرٍ فتكون له أهدافُه التربويةُ التى تعودُ عليه بالخير، والنفعِ في المستقبل...

وفي الحثَّ على الفضيلة ،ووجوبِ التضحيةِ والفداء، والتمسك بتعاليم الإسلام نقرأ قول الشاعر إبراهيم أبي عبادة:

أنا مسلمٌ أنا مسلمٌ　　　أنا مسلمٌ رغم العدى.
أنا مسلمٌ أنا مسلمٌ　　　روحي لإسلامي فدا.
أنا مسلمٌ ياإخوتي　　　سأقولها طولَ المدى.
أنا مسلمٌ بعقيدتي　　　أحمى البلاد من الردِّي.
أنا مسلمٌ أجد السعادة في طريقي والهدي.
أنا مسلمٌ هذا شعاري　　　إنه أحلى ندا.
أنا مسلمٌ هذا نشيدى　　　سوف أمضى منشداً.
أنا مسلمٌ أنا مسلمٌ　　　أنا مسلمٌ رغم العدا.

فنرى الشاعر يؤكدُ للطفلِ أن الإسلامَ قيمةُ عظيمة، لأنه ديُن إنسانيةٍ وسلام، شَّرعَ لنا ما يجعلنا متحابين متعاونين مسالمين...

ننظر إليه وهو يقولُ على لسان طفله "أنا مسلم" رُغم مايحيطُ بعالمه

الإسلامي من كراهيةٍ للإسلام، وعداءٍ للمسلمين، وسيظلُّ يرددُها ما حييءلأنَّ عقيدتَه الإسلامية علمته المبدأ، والتعاليمَ الساميةَ كالتضحية بحيثُ لا يسمحُ لعدوٍ غاشمٍ أن يحاربَ بلدهَ، ويسلبَ حقَّها . . .

بعد ذلك يرسمُ الشاعر -للطفلِ- طريقَ السعادةِ إذ يكمنُ في التمسك بتعاليمِ الإسلام، وإتباع ما أمرَ اللّه به من أوامرٍ

نعودُ إلى النشيد فنرى الشاعرَ عمدَ إلى استخدامِ المقاطعِ القصيرة التي تحققُ الإيقاعيةَ، وتوظفها في بعث الإثارة والحمية بشكلٍ تدريجي - متناسبةً مع حالةِ الطفلِ النفسية فتحفزهُ، وتنبهُ مشاعره، . . . وتأخذُ على يديه، وتَشدُ من أزره .

ثم ننظر إلى المسالك التعبيرية فنقول :إن استخدامَ الشاعرِ الجملَ الاسميةَ "أنا مسلم" في صدرِ كلِّ بيتٍ حيثُ تبدأ بالضمير الثابت "أنا" للمتكلم ليدلُّ على الخصوصيةِ الذاتيةِ فيوحي بالفخر والاعتزاز كونه "**أنه مسلم**" . . . هذا ولم يتوقفْ الشاعرُ عند إيرادِ الضمير "أنا" لكنه أخبرَ عنه بلفظة "مسلم" لتؤصل هدفاً رائعاً تربوياً، وعقائدياً بشكلٍ إيحائي أو دلالي عن طريق " عقيدتي" هذا الهدف هو أن الإسلامَ ليس قولاً أو تمنياً ، وإنما هو فعلٌ وعملٌ أخذاً بالقول: إنَّ الإيمانَ هو ماوقر في القلب، وصدقه العمل . . أي أنهُ عقيدةٌ في القلب-يصدرُ عنها ما يؤكدُ وجودُها ، وسلامتُها .

ومن موضوعات الشعر الديني الموجه للأطفال رأينا الميلَ إلى عرض قصص الأنبياء في شكلٍ شعري ميسورِ الألفاظِ . . نذكر من ذلك قصيدة محمد الهراوي[1] في قصة سيدنا إبراهيم ،وبناء الكعبة يقول فيها:

مضى إبراهيم منتقلاً ——— تنقل صاحبة النجع

ء

١- ديوان أنباء الرسول ص١٩ .

وحطّ الرحل في وادٍ | بـلا زرعٍ ولا ضـــرعٍ
وفـــي الأرض مباركة | وصقيع جل من صنع
بني بيتــاً دعـــائمه | وقـاها الله من صدع

حيثُ قدمَ الهراوى حكايةً قصصية سريعة ركزَ فيها على أهم أحداثها كما رأيناه يحدثنا عن نجاه نوح، ومن معه في السفينة قائلاً

وســـــار نـــوح ونجـــا | ومن كان في الفلك دعى
وقيل ياأرض أبلعى | ويا ســـماء أقـــلعي

ويجسدُ لنا حديثَ النملةِ في قصةِ سيدنا سليمان

ومـــر فـي حنـــدك | حـــاملة الحـــــراب
فسمع النملة تبدي الـ | نصـــحَ للأتـــراب
تقـــولُ هيــا للحمـي | من داخلِ الأبـــواب
لا يحطمنكم ســـليــــ | ـــمان عـــلى التـــراب
فقـال وهـــو ضاحك | والنمل في إضراب
أحمـــده سبـحانـه | من منعـــم وهّـــاب

إنه من خلال عرضنا للأمثلة الشعرية القصصية للشاعر محمد الهراوي يمكننا رصدّ عدّةِ تجليّات نذكرُ منها ثنتين:

الأولـــى: إن الشاعر هنا اكتفى بذكرِ الأحداثِ الجوهرية في كل قصة معتمداً في ذلك على اقتباسٍ، وتضمينٍ من القرآنِ الكريم مثل قوله - في قَصة إبراهيم عليه السلام- في واد بلازرعٍ ولا ضرعٍ، في أرض مباركة وقوله في قصة نوح- "وقيل ياأرض ابلعى ماءك"٠٠٠٠كذلك ينطبق الأمرُ على قصةِ- سليمان في قوله "لايحطمنكم سليمان، فقال " وهو ضاحك" حيثُ جاءت مفسرة لقوله:" فتبسم من قولها" وهذا الاقتباسُ، أو التضمينُ الذي يلجأ

إليه الشاعرُ ليستعين من قوة ألفاظِ القرآنِ الكريمِ قوةً علماً بأنها عندما تترددُ على ذهنِ الطفل- في القرآن، ثم في الشعر تؤكدُ، وتستقرّ في نفسه

الثانيـة : إنّ الشاعرَ عندما يوظفُ المادةَ التاريخيةَ الإسلاميةَ في شكلٍ شعريّ بسيطِ الألفاظِ، سهلِ التراكيب لاسيما أخبارُ الأنبياء، والملوك فإنه يهدف إلى عنصرِ التشويقِ بقصدِ المتعة، والمنفعة في أخذ العبر من تجارب السابقين؛ فتعلمهم المثابرة، والصبر على البلاء والتضحية، ووجوب الغداء كما جاء في قصة إبراهيم، وقدرة اللهِ سبحانه وتعالى كما جاء في قصة "نوح" ومعجزات الرسلِ الممثلة في معرفة سيدنا سليمانَ بلغةِ الطيرِ . . . .

غاية الأمر فإنَّ شعرَ الطفلِ الإسلامي من الموضوعات المشوقة للطفل إذا أحْسنَ تقديمها ، بحيثُ تثقفُ عقله، وتهذبُ نفسَه، وترقي بخياله، وتحببه في الأدب العربي، وتراثه العظيم؛ فستصبحَ أكثرَ فاعلية، وأعظمَ أثراً في تنمية ثرواته اللغوية، وذوقة، وحسّه الفنى والأدبي . . . .

ثانياً : الشعر الوصفي

يعدُّ الشعرُ الوصفيُّ اتجاها متميزاً في شعرنا العربي منذ بداياته التاريخية والفنية، بحيثُ لا يبدعُ فيه إلا منْ وهبَ خلالاً عظيمةً نخصُّ منها البصيرةَ النافذةَ، والذهنَ الصافي، والإحساس الدقيقَ، وإجادةَ القولِ. . . هذا ولقد ظهرت بداياتُه في العصر الجاهلي حيثُ وُفقَّ الشعراءُ في تقديم تراثٍ خالدٍ في وصفِ الإبل والبقر، هذا بالإضافة إلى وصفِ محاسنِ المرأة، ومناظرِ الطبيعة حيَّةً أو جامدةً و . . . .

وفي العصور العباسية اهتمَّ الشعراءُ بتصويرِ الجانب المادي من الحضارةِ الجديدة فنراهم سجلوا الحياةَ داخلَ البيوت، والقصورِ ومافيها من وسائل اللهو والتسلية، كذلك وصفوا وسائلَ الثقافةِ في عصرهم، وأدواتها فتحدثوا عن

الكتب والأقلام والخطوط. . . .

وفي العصر الحديث، ومع الثورات العلمية الممثلة في غزو الفضاء عن طريق الطائرة، والصاروخ والذرة والعولمة. . . استُحدثَتْ آلاتٌ، ومخترعاتٌ كثيرةٌ كلُّها قمينةٌ بأن يتطلعَ إليها الشعراءُ واصفين إياها، ومُمجدين أثرها الكبيرَ في دفع عجلة التقدم والرقي؛ لأنها ستوفر وقتاً وجهداً كبيرين علي البشرية،على هذا التصور فإنَّه ليس غريباً على الطفل المواكب لهذه المخترعات التي صارت تقتحمُ عليه إدراكه، وتتحدى قدراته، وتصوراته أن يحيطَ به علماً في سياحةٍ معرفيةٍ عن طريق خياله، وقلبه، والطريق إلى خياله لن يأتي إلا بالشعر. فالشعرُ لسانُ العاطفة، وترجمانُ القلب. .

معنى ذلك فإنه بالشعر، وعنَ طريق لغةٍ بسيطةٍ تكونُ وسيلةً جادةً للتفكير يمكنُ أنّ يقدَّمَ للطفل، أو ينقلُ له صوراً من الطبيعة، ومابها من زروع وثمار، وحيوان، وجبال، وأنهار، ومخترعات كالطائرة، والترام، والباخرة، والدراجة والآلة الكاتبة. . . . . .

في وصفِ المخترعات نذكر قصيدة الترام للشاعر محمد الهراوي التي يقولُ فيها:

مــركبةُ الــترام تسير بانتظام
تجتازُ كالسفينةْ شــوارعَ المدينةْ

حيثُ بدأ بعرض الشكل الخارجيِّ الظاهري للترام فجاءَ أشبه ببطاقةٍ تعريفيةٍ له فهو وسيلةُ نقلٍ تتسمُ بالأمان، والنظام في سيرها. .إنها في تحركها في إنسابية وهي تتخطَّي شوارعَ المدينة-تكونُ مثل السفينة:

إن هذه البداية قدمت لوحةً رائعةً وهذا أمر طبيعيٌّ فالإنسان عندما يصفُ شيئاً ما فإنه لابد من رسمٍ صورةٍ كليةٍ، هذه الصورةُ ترسخُ ملامحَ

الموصوف حتى تأخذَ بعدها على صفحة عقل الطّفل.

ولأنَّ الطفلَ من رغباته امتلاك الشئ مجملاً أول ما تقع عليه عينه فإنه قدمَ لنا صورةَ الترام كليةً لتتفاعلَ، وتتوغلَ في عقلِ وخيالِ الطفل فيبدأ الصراع التخيُلي ،وتكون الغلبةُ للخيالِ.

بعد ذلك بدأ الشاعرُ في عرضِ مكونات أو (محتويات) صورة الترام قائلاً:

شـريُطها الحـديدُ	علي الثّرى مديدُ
وسـلُكها الكهربُ	في عمـُد مركّب
ذراعُها من فوقها	متصـلٌ بسلكها

حيثُ قدمَ مكونات الصورة الخارجية لعربة الترام متمثلةً في القضيبين الحديدين المثبتين على الأرض بشكلٍ انبساطي... ولها ذراعٌ يتصلُ اتصالاً مباشراً بأسلاك الكهرباء الممتدة المركبة على أعمدة حيثُ يسيرُ بها...

بعد ذلك يعرضُ لنا محتويات الصورة فيصفُها قائلاً :-

سـائقها والجـابي	للسيْر وَالُركّاب
ُصفَّتْ بها المقَاعدُ	وَخَلْفَهَا المسانِدُ
يَركَبهـا الجُمْهُورُ	وَهْيَ بِهِم تَسيرُ
مَسَـافَةٌ بَعيـدَةْ	بأجْرةٍ زَهيـدَةْ

حيثُ يتحدثُ عن سائقها، والمحصل كذلك المقاعدُ- أماكنُ جلوسِ الناسِ حيثُ يوجدُ خلفها المساندُ التي يتكئُ عليها الركابُ؛وسيلةً للراحة....

ولأن الفائدةَ تكونُ بمثابةِ الثمرةِ التي بلغت كمالَ نضجها الإدراكي؛ فإن الهراوي ذكرها في بساطة وروعة قائلاً

قَرّبَتِ الدّيـارَا	عَمَّرَتِ القِفَارَا

أنَارَت الظلامَـا	**مَهدَّت السـلاَمـا**
وَهكذَا فَالكَهربَا	**قَدْ سَهلَتْ مَاصعَبًا**

نعودُ إلى ما سبقَ قوله لنؤكد إن مثل هذا الوصفِ الرائعِ الذى بدأ برسمٍ الصورةِ الكليةِ، وتجميعها على شاشةِ مخيلتة؛ لرسم أبعادها وملامحها بشكل إجمالى، ثم الانتقال إلى محتوياتِ الصورةِ وهي "عربة الترام" فجاءت على شكلين الأول: المحتوى الخارجي له المتمثلُ في الذراعِ الكهربائيِّ ..

الآخـر: المحتوي الداخلي المتمثل في (السائق والمحصل والمقاعد والجمهور)

وأخيراً: قدَّم لنا الفائدةَ المرجوَّةَ من هذا المخترع...

إنَّ القيمةَ التعليميةَ لدى الطفل تكمنُ بعرضِ المخترع من كل جوانبه، ثم إعطاء تلميحاتٍ سريعةً إلى فوائدهُ التي عُملَ أو صُنعَ من أجلها .

ننتقلُ إلى وصف الساعة عند الهراوي حيثُ يقول:

وسـاعة حملتها	**تحسب سير الزمـن**
إن فرغت أملؤها	**في وقـت المعـين**
فلم تعجلْ لحظـة	**ولـم تقـف ولم تَن**
رتبت أعمالي بها	**على نظام متقـين**

حيثُ عرض في البيت الأول جملةً مسلماتٍ قدمَ من خلال بديهيات متمثلة في أن الساعة تُحْمَلُ لكى يحسبُ بها الوقتُ.... من هنا تبرز أهميتها، بعد ذلك ينتقلُ في البيت الثاني إلى طريقة تشغلها بحيثُ إنه يملؤها إذا فرغت هذا ولم تتوقفْ دقته عند هذا الحد بل رأيناه يملؤها في وقتٍ محددٍ إنَّ مثلَ هذه الجملَ تقدمُ إطلالةً رائعةً في الدرسِ التعليمي "النظام والحرص علي الوقت "،إذ راحَ يرسخهُ في عقل طفله مفهوماً وسلوكاً....

وفي البيتِ الثالثِ من المقطوعة قال : إنها لم تقدمْ أو تؤخرْ...

على كلٍّ حالٍ فالشاعرُ موفقٌ كلَّ التوفيقِ في استخدام أدواته اللفظيةِ لا سيما في مسالكها التعبيرية حيثُ نراه أراد أنْ ينفي تقديمها، وتأخيرها نفيًا جازماً فجاء بالفعلِ "تعجل" مسبوقاً بلم أداة الجزم، والقلب، والنفي أيْ جعلَ حدوثَ الفعل المستقبلي في المضي ثقةً منه في أن ساعته هكذا، ثم ذكر بعدها "لحظة" تعبيراً يوحي بالنظامِ والدقةِ في التعاملِ مع الوقتِ...

كذلك فإنَّ استخدامَ الشاعرِ للأفعال المضارعة "تعجل - تقف ليؤكد صدق فكرته، وتجدد أحداثها، واستحضار صورتها...

بعد ذلك عرضَ الهراوي فائدةَ الساعة قائلاً :-

رتبتُ أعمالي بها	**على نظامٍ متقن**

فنراه يحرصُ على النظام، ونبذ الفوضى...

ولتزاوج بين المقطوعةِ السابقةِ، ومقطوعة شوقي في الساعة الميقاتية فننظر إليه وهو يقول[1]:-

وعقدا بها الزمـــا	**ن في اختلاف بين**
إذا شئت لم أحتفـل	**أو وقـفت لم أغبن**
أحمـــلها لأنهـــا	**تغشني في الزمـن**

فنراه يؤكد أنّ ساعتَهُ مضطربةٌ بينَ عجالةٍ، وتوقفٍ، لكن هذه المسألةَ لاتؤرقه ؛لأنه غيرُ مكترثٍ بها، مع ذلك يحملُها كي يسخرَ منها؛ لأنها تغشُّهُ في الزمن. على كل حالٍ فنحنُ عرضنا نموذجين للساعة يقدمان فكراً مختلفاً ومدلولاً متباعداً ...

فبينما يسخرُ شوقي من ساعته فيقدمُ مقطوعةً يرى فيها أنَّهُ لاطائلَ من ورائها غيرَ مضيعةِ الوقتِ، نجد الهراوي يقدم قيمةً سلوكيةً سعى الشاعر إلى

تأصيلها في شكل تعليمى، وهي حبُّ النظام.

ننتقلُ إلى قصيدة "المنظار" عند الهراوى[1] التى يقولُ فيها:-

ومنظارٌ زجاجتُه	**دقيقُ الشئ تبديه**
وأصغره وأبعده	**تجليه وتدنيه**
أمير الجيش يصحبه	**ليأمن من أعاديه**
ورب الفلك يحمله	**فيجزيه ويرسيه**
وفي صيد وفي سفر	**تري الإنسان يبغيه**
كأنَّ المرء"رزقاء اليمامة"	**إذ يرى فيه**

فالمقطوعةُ السالفةُ صورةً وصفيةً مجملةً عرضها الهراوي بهدف تقريب المنظار لمخيلة الطفل.

وكعادته فإنه يبدأ بعرضِ الصورةِ الإجمالية؛ ليحلقَ بها في مخيلة الطفل فأخبره أنه من زجاجٍ صُنعَ بدقةٍ متناهيةٍ وبمجرد أن يلتقطها الطفلُ يصدُر قائدته في تقريبه وكشفه ما صغرَ من الأشياء؛ لذلك يحمله القائدُ ليكشف مواقع الأعداء وكذلك يحمله قائد السفينه؛ ليهتدىَ به إلي المسالك.. أيضاً فإنه يستخدمُ في السفر والصيد...

صحيح أنَّ هناك بعضَ الألفاظِ الجديدةِ مثل (يجليه - زرقاء اليمامة)

لكننا نقولُ طالما أن الغرض من الوصف هنا العلم والمعرفة فإنه لامانعَ من وسيط أو شارحٍ لما أشكل من الألفاظ.

غاية الأمر فإن الشعر الوصفي لونٌ تعليمي هادفٌ يكسبُ الطفلَ العديدَ من المعارفِ والعلومِ هذا بجانبِ تنمية قدراته التخيلية، وصقل ملكاته اللغوية..

ثالثاً: الشـــعر التعليــمي

لقد ظهرت بداياتُ الشعرِ التعليمي في العصر العباسي، وهو عبارة عن قصائدَ يُنظِّمُ فيها الشاعرُ علماً من العلوم؛ ليسهلَ حفظُه، وتذكرُه.

معنى ذلك أنَّ هدَفه لم يكنْ فنياً محضاً، وإنما وسيلةٌ من الوسائلِ التعليمية.

ونذهبُ إلى شعرائنا فنرى ما فعل ابّان بن عبدالحميد اللاحقي حينما نظم- في باب الفرائضِ - قصيدةً من المزدوج،كذلك منظومة ابن مالك في النحو العربي، وهي الألفية....

وفي عصرنا الحديث نشطَ الشعرُ التعليميُّ الخاصُ بالأطفال ليحققَ أهدافاً تربوية، وتعليمية كبرى. ونحنُ لا نبالغُ إذا قلنا: إنَّ الشعرَ التعليمي عند الطفل صار يؤتي أكله، وذلك لما يتسمُ به من تنميةٍ لقدرات عقليةٍ، وتثقيفيةٍ، وتربويةٍ، وتعليمية.

إن من الشعراء الذينَ علموا الأطفالَ العديدَ من القيم التربويةِ والتعليمية الشاعر محمد الهراوي حيثُ نراهُ تحدَّثَ عن أهميةِ الكتابِ فقال:

أنــا فتــى ذو أدبْ   **أقرأ خير الكتبْ**

إن غابت الأصحابْ   **فصاحبي الكتابْ**

لعل الناظرَ إلى المسالك التعبيرية في البيتِ الأول " أنا فتى ذو أدبٍ" تؤكدُ أنَّ الشاعر خبيرٌ بالنفسِ البشرية، عالمٌ بباطنِ الطفلِ النفسي.

فالمتعارف عليه عندما نوجه ابننا إلى قيمةٍ أو فضيلة أو.... فإننا لابد أن نرفعَ من روحةِ المعنويةَ بجملٍ تشجيعيةٍ، بحيثُ نصلُ به إلى قمةِ شعورهِ المعنويِّ لأعلى درجةٍ بحيثُ نطلقُ منها مجموعةَ النصائح، والإرشادات، وقتها يستجيبُ الطفلُ تلقائياً... بعد ذلك يرسخُ الشاعرُ قيماً معرفية وسلوكيةً

مؤداها: أنَّ الكتابَ الخَيِّرَ المفيدَ هو صاحبُ لي، ثم يأتي شارحاً موضحاً سببَ المحبةِ التي جمعت بينَ الطفلِ والكتابِ في رحابها في أسلوب تقريري مباشر بغرض التشويق -أنَّ- فيه أحاديثَ السمر، والمتعةَ الكبيرةِ

أســأله يجيــبني — عن كلِّ مايريبنيَ .
يحـلو به البيــان — ومــاله لســان .
كمْ قصَّ لي حكاية — لطيفـةٌ للغــايــة .
يرويَ لي الأشعارا — والأدب المختــارا .

فيرى أن به المعارفَ والعلومَ علىَ شتى أحوالها . . . حتى القصص والحكايات والأشعار الجميلة، هذا ولقد عمدَ إلى التصريحِ، والوضوحِ بالأفكارِ المباشرة.

إنَّ حسنَ اختيارِ الكلماتِ السهلة ليفيضَ رقةً وعذوبةً حيثُ تحدثُ إيقاعاتٍ رائعةٍ، وموسيقى كوسيلةٍ من وسائل التعليم فيقول:

الطفل قال ما الذي — يبكيـك ياكتـــابي
فقال قد جئت هنـا — أبكـى على شــبابي
أنتَ قد اشــتريتني — للسـجن والتـــراب
نسيتَ أني صـاحب — من خيره الصحـــاب
نســيتَ أني عــالمٌ — بالطـب والحســاب
وأنا عــندي ســائر — الفنـــون والأدآب
نسيتَ أن راحــتي — كـراحة الســحاب
أعطي بلا مقــابل — فلســتُ كالمـرابي
أني أنا النور الذي — يهدي إلى الصواب
أقرأ كــلّ نهضـــة — في صحبة الكتــات

أوْ لا فيعـني للذي يجـدّ في طـلابي

فالقصيدة هنا جاءت ألفاظها قويةً على أنها أكتسبت قوتها من تراكيبها وقيمتها التعبيرية العالية، وذلك بما قدمته من معانٍ حسيةٍ موحيةٍ هذا من جانب.......

على جانبٍ آخر فقد عبرَ الشاعرُ -في أكثر من موضع- بالصورة البيانية ممثلة في (للسجن والتراب، كراحة السحاب، كالمرابي) على أنَّ هذه الصورَ قد تشكّل ضبابيةً يغيبُ معها توقفُ الطفل، ونظرُه التامُ النافذ، وبالتالى فإنَّ المسائلَ قد تضطربُ معه، فهو لا يفهمُ مدلولَ "راحة السحابَ، ولا يعرف معنى المرابي، ولايدرك مدلول" للسجن والتراب؛ لأنها معانٍ قد نقلت من معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى مجازيةٍ... إنَّ من أهمِّ أهداف الشعر التعليمي أن يقدمَ العلومَ والمعارفَ في لغةٍ شعريةٍ مبسطةٍ سلسلةٍ تتسمُ بالإيقاعات الموسيقيةٍ، والمعاني الحسيةِ التقريرية المباشرة بهدف إثارة مشاعره، ومتعته وإيقاظ ذهنه.. وهناك قصيدةٌ رائعةٌ ليس الفيل بعنوان "مدرستي" يقولُ فيها:

مدرسـتى يافخر الوطن يامهد النور مدى الزمـن
أهواك هـوى يتملكني يسري في الروح مع البـدن
مدرستي يافخر الوطن
حجـرات الدرس أحيبيك وأحـي زمـلائي فيـك
حـاضرك العذ وماضيك يسري في الروح مع البدن
مدرستي يافخر الوطن
صاحبتك أنقى سنواتي يانـور الحاضر والآتي
أهـواك وحبك فـي ذاتي يسري في الروح مع البدن
مدرستى يافخر الوطن

حيثُ يبرزُ الشاعرُ قيمةً وجدانيةً تكمنُ في شدة تعلق الطفل بالمدرسة ثم ينتقلُ إلى مدى أهميتها بوصفها معقلاً حضارياً وتربوياً وتعليمياً فيرى أنها مؤسّسةٌ، وباعثةٌ للنهضة العلمية والحضارية... أيضاً إنَّ بيتهَ الثاني يوصلُ ويبرزُ القيمَ الوجدانيةَ كذلك فإنَّ حديثه عن حجرات الدرس والزملاء والحضور كلها مادة الذكريات التى تسرّى في روحه- حبَّ العلمِ والمعرفةَ.

وفي التعليم بحروف الهجاء للناشئة نقرأ قول الهراوي حيثُ يقدمُ الحروف الهجائيةَ بشكلٍ قريبٍ حيثُ جاءَ بكلِّ حرفٍ مكرراً ممثلاً لكلِّ حرفٍ بكلمة يبدأ بها، هذا الحرفُ.

ففي الألف قال:	**ألف - ألف - نظمت إبـرة**
وفي الدال قال :	**دال - دال - ملكـت دُرّة**
وفي الذال قال :	**ذال - ذال - نفخـت ذرّه**
وفي الظاء قال :	**ظاء - ظاء - قصّت ظفـره**
وفي العين قال :	**عين - عين - عـدّت عشرة**
وفي الميـم قال :	**ميم - ميم - مصـرُ الحـرّة**
وفى اليـاء قال :	**يـاء - يـاء - يُدكّـم عطـره**

خلاصة القول: فإنَّ الشعرَ التعليمي يصبحُ ذا قوةٍ كبيرةٍ ،أو أثرٍ كبيرٍ على عقلٍ، وقلبِ الطفل سيما إذا أُحْسنَ نظمةُ، وتناولَ قضايا تعليميةً وتربويةً وأخلاقيةً، واجتماعية.. وقتها ينشأُ جيلٌ متمتـعٌ بحسٍّ خلقي، وتهذيبي وإدراكي....

خامساً : الشعر الوطني:

الشعر الوطني هو لونٌ مشتقٌ من الفخر ذاك الغرض الشعري القديم الذي كان موزعاً على نوعين الأول : الفخر الذاتي، والآخر: الفخر القبلي.

هذا ولقد صار الأخير قومياً، أو وطنياً يعبرُ عن المجتمع، وماطرأ عليه من مستجدات حضارية نقلته من طور البداوة إلى الحضارة، والتمدن. كذلك يعبرُ عن كنوزِ الوطن والنعم التي وُهِبَت بها دون غيره من الأوطان.وشعرنا الوطني المعاصر عامرٌ بالوطنية، والتغنى بأمجاد الوطن، وهو-في مجمله -يبثُ روحَ الانتماء والارتباط الشديد بالوطن، وينمي حاسةَ الحماسة، والغَيْرة، وبالتالى يزكي روحَ التضحية والفداء.. ولقد رأينا شعرَ الطفولة عامراً هو الآخر بحبِّ الوطن، والافتخارِ به والزود عن حماه، ولِمَ لا. فالوطن هو البيت الكبير عشنا فوق أرضه، واستمتعنا بخيراته فشربنا من ماء نيله العذب و.........

في هذا الصدد نقرأ نشيدَ الوطن لأحمد شوقي:

عصفورتان في الحجا ... ز حلتـا علـى فـنن
في خاملٍ من الريا ... ض، لانـدٍ ولا حسـن
بينمـا هما تنتجيا ... ن سحراً على الغصن
مر على أيكهمـا ... ريح سرى من اليمنِ
حيـا وقال : دُرَّتان ... ن في وعـاءٍ ممتهن!
لقد رأيت حول صنـ ... ـعاء، وفي ظل عدن
خمائلاً كـأنها ... بقيـة من ذى يزن
الحب فيها سُكَّر ... والمـاء شهد ولبن
لم يرها الطيرُ ولم ... يسمعْ بها إلا افتتن
هيـا اركبانى نأتها ... في ساعة من الزمن

حيثُ نرى الشاعر يحكي على لسان عصفورتين قدمتا من الحجاز على غصن، وهما واقفتان فإذا بريحٍ جميلٍ قادمٍ من اليمن، فأخبرهما هذا الريحُ بأنه قادم من صنعاء، وعدن حيثُ يوجد هناك النعيم والترف والرخاء والسعادة ثم عرضَ عليهما أن يحملهما إلى هناك ليقضيا ساعةً من الزمن لكن عصفورة قالت للأخرى: إلى أين نذهب ونترك الوطن ...

والأبياتُ تقدمُ حكايةً جميلةً مفادها أنَّ الوطنَ غالٍ على أبنائه عزيزٌ على نفوسهم، لا يغني مكان في الدنيا عنه... والأبيات تسفرُ بوجهها من حين لآخر عن روح الانتماء، وحب الوطن.

ونقرأ نشيد النيل للهراوى :

النيـــل ســلسبيل	**ليـــس لـــه مثيـــل**
نهـــر كـــريم طـــيب	**يروى الثرى فيخصب**
واديه روض أخضـــر	**ينســـاب فيه الكوثر**
يفيض بالإحســـان	**في مصـــر والســـودان**
والنيل في القطرين	**حيـــاة تـــوءمـــين**
فليحـــيى نيل مصر	**مـــدى الزمـــان حـــراً**

فنراه يتحدثُ عن النيل، وجماله وتفرّده بحيثُ لا يضارعه شئ، فهو خَيِّرٌ لأنه يمدُّ الأرضَ بالنماء والخصب والخضرة، والحياة فكأنه يتدفقُ من الكوثرِ، أعظم أنهار الجنة، وهو تعبيرٌ يدلُّ على بهائه، وجماله، وخيره العميم.

ثم نراهُ بعدَ ذلك يقدِّمُ قيماً تاريخيةً محواها: أن خيرَهُ عميمٌ على مصر والسودان...

ونذهبُ إلى كامل الكيلاني لنقرأ قوله في الوطن:

سماؤك يامصر صفـي ســماء	**وأرضك أرض الغنى والرخـــاء**

ونيـــلك يامصـــر جـم العطاء — فمنـه الغذاء، ومنـه الكســـاء
علـى ضفتيـه نما مجـدنـــا — ومنـــه عرفنـــا فنون الوفـــاء
يفيـض علينا ــ بخـــيراتـــه — فيسقى الغراس، ويروى الظمـاء
وتسرى الحياة فيزكو النبــات — ويحيا الموات ويحيـــا الرجـــاء
سماؤك يا "مصر" يحمي البلاد — ويفدي اللـواء بغالي الدمـــاء
بـلادى بلادي مـــلاذ الأمـــان — وحصن السلام ورمـز الرخـــاء
وملهمـــة المصلحـين الهـــداة — معـانى العلى، والندى والإبــاء
منـــار العلـوم ومهـد الفنـــون — شـعـاع أنـــار ونجـم أضـــاء

فالناظرُ إلى الأبيات يلمسُ -لأول وهلة- أنَّ فيها إلحاحاً من الشاعر نحو تعميق الانتماء للوطن، والفخر برجاله، والانتساب إليه، والتضحية من أجله.

لقدُ وفّقَ الشاعرُ في ربط الأطفال بالوطن حيثُ قدَّمَ مسالكَ تعبيريةً ملائمةً متمثلةً في دلالات حول الوطن، وأهله.

مثل: يامصر . . . أرضك ، سماؤك، نيلك ، شعبك، بلادى،

كذلك عمقَ مفهومُ النيل لدى المصريين وأثر ذلك النهر في حياتهم المصريين.عوداً فإنه كررَ المترادفات بهدف التيسير اللغوى على الناشئة

رابعاً: الشعــر الأخـــلاقي

لاشك أن الطفلَ - في تلك المرحلة العمرية- بحاجة ماسة؛ لأن يتزوّد من تعاليم الإسلام، وآدابه التي هدانا إليها حتي يكونَ مسلكهُ التعاملي مع الناس مسلكاً نموذجياً اجتماعياً متميزاً بحيثُ يقدمُ لنا صورةً أخلاقية مُثْلَى تعدُّ مثلاً يحتذىَ به . . .

والشعرُ الأخلاقي عني بالطفل منذ فجره تقويماً، وتأديباً بهدف تهذيبه وتعليمه، وهذا ولقد زخر بالعديد من النماذج التي تنطوي على هذه القيم نذكرُ

قصيدة الهراوي التى يقول فيها:

هل تعلـمون تحيتي عندَ القدوم عليكمُ
أنا إن رأيتُ جماعةً قلتُ السلامُ عليكمُ

حيثُ نرى الشاعرُ يوجه- من خلال البيتين - درساً من دروس الآداب والتهذيب، يتعلقُ بآداب الزيارة في صورة شعريةٍ مبسطةٍ ذات ألفاظٍ سهلةٍ تنسابُ من طبعه الصادق، فبدأ بجملةٍ استفهامية تفيدُ الإخبارَ عن تحيةَ الإسلام وهي السلامُ عليكم... ثم أفادَ بعدها بأنه من الواجب- أن يُلقي الطفلُ على الجماعة السلامَ......

لقد استخدمَ الشاعرُ كلماتٍ سهلةً معبرةً ذاتَ معانٍ مباشرةٍ بحيثُ تنفذُ إلى قلوب الأطفال، وتقدمُ لهم مقصداً سلوكياً، وخلقياً حميداً يعينهم على السير في الحياة سيراً جميلاً.

نقرأ قوله في مقطوعة أخلاق فاطمة :-

فاطمـةَ لا تغضب إلا لحـقٍ يُغْصَـب
لا تحلف الإيمان لغواً لا، وليست تكذب
حديثهـا محبـب وطبعهـا مـهـذب

******

فاطمة ليـست تسيء لامـرئ أو تـذنب
لا تعرف الشتم الذي عنـه نهاهـا الأدب

حيثُ نراه يقفُ إزاء القيم والسلوك فينزعُ منزعاً نقديًا مسايراً للمواقف الإيجابيةِ، ومؤيداً لها، ومفنداً للجوانبِ السلبيةِ، ومقوِّماً لها في أسلوبٍ مباشرٍ.

على كلِّ حالٍ فالأبيات رُصدت أكثرَ من قيمةٍ سلوكيةٍ لفاطمةَ منها: أنها

حليمةٌ،منصفةٌ للحق، لا تلغو بالقسم، ولا تكذب، مجتهدة غير لاهيةٍ، أو عابثة أو متسرعةٍ أو متعصبةٍ، لا تشتم....

معنى ذلك أنَّ الشاعرَ ينبذُ أكثرَ من عادةٍ سيئةٍ في مجتمعه، والأبيات في مجملها- تقدمُ آداباً سلوكية.

وفي آدابِ الفتاةِ في الطريق نقرأ قول الهراوي:

إذا ما سرت في الطرقات فامشي　　على سَنَن الكمـال والاحتشام
ومـــرى بـــين إسراع ومهـــل　　وصدى السمع عن لغو الكلام
كذلك فاسلكي في كـل ســير　　سـبيل الجـد يابنت الكـرام

حيثُ يقدمُ للفتيات صورةً مُثْلى يجبُ عليهن التمسكَ بها للأبد علماً بأنَّ خطوطها الحسن والكمال والحياء هذا بالإضافة إلى سيرهن في أن يكون سيرهن في تأنٍ وتمهلٍ فلا إسراعَ ولا عجلَ وألاَّ يسمعن لغوَ الكلام.........

وفي الحثِّ على روحِ الجماعة نجدُ قول محمد محمود رضوانَ

لست يامسلم وحدك　　أنت تحيــا في جمـاعة
كلّ من فيها أخ لك　　مــن دم أو من رضاعة
أخــوة في اللـه هم　　يرجونه في كلّ ســاعة

حيثُ يؤكدُ حقيقةً إيمانيةً وهي أن المؤمنين أخوةٌ، وتلك الأخوة يجبُ أن تكونَ إيمانيةً، لا تتوقفُ على أخوة الدَّمِ، والنسب، وإنما كلُّ مسلمٍ أخٌ لأخيه المسلم.

ويقولُ الهراوي في الأمانه

أنَــا فَتًى أمِــينٌ　　لِي خُلُـقٌ وَدِيـنٌ
الْحَقُّ لاَ أُضيعُــهُ　　السِّـــرُّ لاَ أُذِيعُــهُ
وَأرْجِعُ الْوَدِيعــه　　حَتَّى مَـعَ الْقَطِيعَةْ

ولا أمُدَّنَّ يَـدي إلى مَتَــاعِ أحَدِ
ولا أقُولُ بَاطِـلاً ولا أضِـلُّ سَائِلاً
مَنْ يَخُنِ الأمَـانَهْ أوْدَتْ بِهِ الخِيـانَه

وفي الهـــدية يقول:-

تقبـــل الهـــدية من حسن الطويّة
وعف عنها من يـد سـينة دنيّـــة
وأنت إن أعطيتَهـا فاليد النقيـــة
أصل الهدايا ثقـــة وصـــلة وديّـة

حيثُ انطلق فيها من منظورٍ إسلامي؛ لأنه كما جاء عن الرسول قوله : "تهادوا تـحابوا . " لكنَّ الرائعَ -هنا- أنَّ الشاعرَ رسمَ صورةً سلوكيةً تتمثّلُ في وجوب التهادي بهدف التحابب هذا، ولقد أشارَ إلى ضرورةِ توفرِ حسنِ النية، وسلامة اليدواللسان في المُهْدَى إليه.

وفي الرفق بالحيوان نقرأ شوقي :-

وكذلك في قصة التعاون نقرأ قول كامل الكيلانى:-

جَمْعٌ مِنَ الحَيَــوانِ قَـدْ سَعِدُوا، وطابَ لَهُمْ مُقَـامْ
قَدْ رَتبوا البَيْتَ الجَـميـلَ، وأتْقَنُوا طَبْخَ الطَّعَـامْ
مُتَعاونِينَ عَلَى الحَيــاةِ بِكُـلِّ جِدٍّ واهْتِمـــامْ
قَدْ ذَلَّلوا كُـلَّ الصِّعـــابِ، وَأدْرَكُوا أقْصَى المَرامْ
وَتَبَــادَلُــوا وُدًّا بِـــوُدٍ وابْتِســامًا بِابْتِســـامْ
وَتَبادَلُوا مِنْ فَرْطِ حُبِّهِـمُ احْتِــرامًا بِاحْتِــرامْ
قَدْ أخْلَصُوا، وصَفَتْ قُلُوبُهُمُ، فَعَـاشُوا فـي وِئَـامْ
فـــي كُـلِّ شَيْءٍ قَلَّدُوا الإِنْسان، إلَّا في الكَــلامْ

خلاصة القول -في الشعر الأخلاقي الموجه لدي الطفل-فإننا نري أنَّهُ يجبُ أن يكونَ شعراً موجهاً مقوِّماً يسبرَ أغوارَ الطفل النفسيةَ، فيوقظ الخيرفيه، ويشد عليه، ويقاوم الشرِّ، فيقضي عليه، فالطفل يجبُ أن نؤصلَ فيه كلَّ القيم الإنسانية والأخلاقية حتى ينشأ رجلاً في المستقبل محبوباً محموداً.

سادساً: الشعر الاجتماعي

ينصبُ هذا اللون على المجتمع الصغير، ومكوناته الأب، والأخوة والأخوات وكذلك المجتمع الكبير، ومناسباته وأعياده.

والحقيقة أنَّ شعرَ الأطفال عني بهذا النوعِ؛ لأن من أهدافه ربطَ الجماعةِ بمشاعرها، وبث روح المحبة بين أفرادها.

إننا إذا عدنا إلى شعر الأطفال فسنراه غنياً بهذا النوعِ لاسيما ماجاءَ في الأبوين فستقرأ قولَ شوقي:

لولا التُّقى لقلتُ: لم — يَخلُقْ سِواكِ الولَدا!
إن شئت كان العَيْرَ، أو — إن شئت كان الأسدا
وإن تُرِدْ غَيَّا غوى — أو تَبْغِ رُشْداً رَشَداً
والبيْتُ أنت الصوتُ فيـ — ـه، وهْوَ للصَّوت صَدى
كالبَبْغا في قفصٍ: — قيلَ له، فقلَّدا
وكالقضيب اللَّدْنِ: قدْ — طاوَعَ في الشكْلِ اليدا
يأخُذُ ما عَوَّدْتِه — والمرءُ ما تعوَّدا

حيثُ يخبرنا الشاعرُ أن الأمَ هي أساسُ كلِّ شئ، وإليها يرجعُ كلُّ شئ فيقول: إنَّ التى تنجبُ الأبناءَ يمكنُ أن يكونَ أولادُها على حسب تربيتها فيأتى الابن شاةً أو أسداً، وقد يخرجُ ضالاً، وقد يخرجُ رشيداً حكيماً.

إن الأم أساس هذا المجتمع الصغير فحسبما تكون ترى أبناءها يخرجون، وقد قلدوها وصاروا مثلها

نقرأ قصيدةَ تحيةِ العام الجديد للهراوي إذ يقولُ فيها:

أمُّ يَـــانُورَ حَيَــاتى   طِبْتِ بالْعَام الجْديد
فَخُذى منّى وَهَاتى   قُبْلَة العيدِ السَّعيد

ونقرأ قصيدة "تحية الأب" للهراوي حيثُ يقول فيها:

تحيـــَّةٌ يَاوَالِـــدِي   في عـَامِكَ الجَدِيد
أهْـدِى إليْكَ زَهْرَةً   فيها تَهَانِي الْعــيد
تُعْرِبُ عَنْ مَحبَّتى   مِــنْ قَلْبِى الْــوَدُود

فنراه يقدمُ التحياتِ لوالده في بداية عامه الجديد في شكل زهرةٍ جميلةٍ تعبر عن حبِّه،هذا ونرى أن كلمة "تعرب" هنا ذات مدلولٍ بعيدٍ عن ذهنِ الطفل وإن كنا نرى أن تبسيطها يكونُ أفضل ونقرأ قصيدة "الجدة" لشوقي

لـى جَدَّةٌ تَرْأفُ بــي   أحـــنَى عــليَّ مِــن أبى
وكـــلُّ شـــيءٍ سرَّني   تذهــــب فيـــه مَـــذهبى
إن غضبَ الأهلُ عليَّ   كلُّــــهم لــــم تَغـــضَب
مشي أبي يومًا إلـيَّ   مِشــــــيةَ المـــــؤدِّبِ
غَضبـــان قد هَـــدَّدَ   بالضربِ، وإن لم يَضـــرب
فلم أجدْ لـي منهُ غيرَ   جـــدَّتى مِـــن مَهــــــرَبِ

حيثُ يحكى لنا قصةً أو حكاية مع جَدته فيقولَ واصفاً حال جدَّته- بأنها أكثر من أبيه حناناً، وعطفاً وبرًّابه،فهي لا تعترضه عندما يفعلُ شيئاً كأنْ يلعبُ- مثلاً-فإنها تلعبُ معه وتسليه.

وقد يغضب الأهلُ من تصرفاتي لكنها لا تغضب أبداًمنى.. ويتذكرُ

يوماً أنَّ أباه توعده، وهدده بالضرب فما وجدَ منقذاً غيرَ جدته التي حَمَتْهُ من قوة أبيه بل ولم تتوقفْ عند هذا الحد بل وبَّخَتْهُ و ذكرتْهبما كان يفعلهُ من أخطاء، وكانت تتغاضي عنها.

سابعاً: شعر الأغاني الشعبية، والألعاب والحكاية

يعدُّ هذا النوعُ من الشعرِ مهمٌّ في حياةِ الطفلِ إذ نجد أن له قوةَ السحرِ في تشجيعِ الأطفالِ على ممارسة القيمِ الإسلامية، والآدابِ الاجتماعيةِ بهدفِ تنشئة رياضِ الأطفال تنشئة صحيحةً. من هذه الأغاني الشعبيةِ التوقيعيةِ

دخلــت بيت الله　　　لقيـت عبداللـه

ومعاه حمام أخضر　　　بيوكلـه ســكر

آه ياليتنى دُقتــه　　　حتى النبي زرته

وقعــدت في ضـله　　　وشــربت مـن قلله

صحيح أنَّ الأبياتِ لا تنطوي على مفاهيمَ ومضامينَ معينةٍ للطفلِ، وعلى الرغم من وجود بعض الخزعبلات ،وغلبة التيارِ الخيالي، وعدم واقعيته إلا أنه يؤكدُ حقيقةً مهمةً وهى أنَّ ربطَ الطفلِ بالله، وبرسول الله وبالإسلام يعمقُ في نفسه الإيمانات، ويثير -في نفسه- التساؤلات، وبالتالى يزدادُ إيمانهُ بالله تأكيداً ورسوخاً.

أيضاً نقرأ قول الهراوي:

أشرقت شمس الضحى　　　في السماء في السماء

أشرقت شمس الضحى　　　في الســماء الصافية

وهي تعطي من صحـا　　　صحــة - صحــة

فنجد أنها أغنيةٌ توقيعيةٌ خفيفةٌ ترتكزُ على تكرارِ الكلماتِ بغرضِ

الإفهامِ والتأكيدِ على الإيقاعِ، ولا مانعَ من شرحها للكلمات الأخري داخل السياق اللغوي مثل السماء الصافية. . . . . . .

أمَّا بالنظر إلى الألعاب والحكايات لدى رياض الأطفال فإننا سنجدُ نماذجَ كثيرةً تناولَتْ هذا اللونَ بهدف الترفيه، والتسلية بينَ جمهور رياض الأطفال.

من أغاني الألعاب عند الهراوي أغنية "الحلقة الدوارة نقرأ قوله:-

دار الصــــف	**لفــوا، لفـــوا**
لفوا الأيـــدي	**لـــف القيـــد**
قيد الصحف	**هو في القلب**
قلبي صـــافي	**راح وافــــي**
وافـــي الـــود	**حسن القصد**
قصدى الفصلِ	**أدا ولأهـــــل**
صدر الزمـــــن	**لبني وطــنيِ**
وطنى مــصـــر	**ولي الفـــخر**

فالناظرُ إلى الأغنية يلمسُ - عن كثب- مسلكَ الشاعرِ في عرض مفهوم الصداقة ، من خلال التعبير المباشر بواسطة ألفاظٍ بسيطةٍ ذات إيقاعٍ، وإيجاء ونغمة تأتي بالترديدِ والصدى لحظة دوران الأطفال، وهم متشابكوا الأيادي حيثُ تغمرهم الفرحةُ بالصحبة، وينشطون للحركةِ عندما يتغنون بالوطنِ وبالأصحابِ في نظم عادي بسيط.

ثامناً: الشعر القصصي:

إذا كان لنا من حديث عن القصصية في الشعر العربي، فإنا نود أن نتحدثَ بصفة شمولية عن الفن القصصي الذى حظى باهتمام العرب الأقدمين، حديثاً مقتضباً نهدفُ منه أن يكونَ مستهلاً للحديث عن القصة فى القصيدة العربية لا القصة بوجه عام، ذلك لأن ما أثبتته الدراسةُ في هذا المضمار أن القصيدةَ شئٌ ،والقصةَ شئٌ آخر، واتجاه الفنان في الشعر غيرُ اتجاهه في القصة، وكلٌّ منهما تعبيرٌ له طابعُه الخاص، وأسلوبهُ المعين.

إننا نظنُّ في ذلك، ولكن ليس إلى حد ننكرُ فيه وجودَ الشعر القصصي في التراث الأدبى العربي، وهذا هو أستاذنا الدكتور محمود ذهنى يؤكدُ بطلانَ هذا الإنكار، وذلك بعرض اثنى عشر دليلاً على وجود القصة في أدبنا العربي القديم[1]. وعندما نتساءلُ عن سبب الإنكار نرى الدكتور حسن يجيبُ قائلاً : إن العديدَ من الآراء تنكرُ وجودَ ذلك اللون في الشعر العربى كلّه لفقدان الموضوعية التى منها انطلقَ الشعرُ القصصي؛ لأن العربيةَ لم تعرفْ سوى الغنائية في شعرها [2]. لكننى أعتقد أن الأمرَ لا يصلُ إلى ذلك الحّد من الإنكار بل إسقاط هذا القصص خاصةً الذي يقابلنا في الشعرالعربي لأن هذا القصصَ فيه مقوماتُه أقصدُ بها الحادثَ والسردَ والشخصيةَ التى تتطورُ بتطور الحادثة، وبعملية السرد. وبما أنَّ القصيدةَ تعبيرٌ طبيعيٌّ للعاطفة يهتمُ بالنقط العامة، ويعرض للإحساس دونَ وصفه ككلّ شعرٍ غنائى، فلا يشترطُ خلوها من القصص، أو عدم قدرتها على تحمل تفاصيل القصة، ومتابعة تطور شخصياتها، وتحليل عواطفهم والانتهاء بهم إلى قصدٍ معينٍ، ولعل هذا يرجعنا

١- يُرْجَعُ إلى الدكتور محمود ذهنى : القصة في الأدب العربى القديم ط ص ٥٤-٥٨ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م.

١- الدكتور حسن محمد : الشعر القصصي ط ٢ ص١٠.

إلى ماقيل -في تقسيم الشعر العربي، ودرجه في إطار الغناء، بالنسبة للشعر العربي،- بحيثُ يخلو تماماً من القصص والتمثيل.

وإذا كنا نبحثُ عن مخرج لهذا التصور فعلينا أذن الرجوع إلى رأي أستاذنا الدكتور/ "محمود ذهنى" إذ يقولُ:

حاول العربُ تطبيقَ تقسيمات أرسطو هذه على أدبهم دون أن يفطنوا الاختلاف الجذري بين الأدبين؛ لاختلاف العوامل البيئية والزمانية والاجتماعية وغيرها، فوجدوا أنَّ أدبَهم العربي ليس فيه شعرٌ ملحميٌ ولا شعر تمثيلي فاعتبروا أن شعرهم كلّه من القسم الثالث وهو الشعرُ الغنائيَ - دون أن يفطنوا إلى سذاجة هذا الاعتقاد، ومع ذلك فقد استمر هذا الوهمُ الخاطئُ مسيطراً على معظم الدراسات الأدبية العربية حتى الآنَ [1] . وإذا عدنا نقولُ إنَّ الشعرَ العربي يكونُ غنائياً قصصاً حينَ يعني الشاعرُ فيه بنفسه، ويعبرُ عن خواطره، ويسرد واقعة أو حادثة قد تكون خياليةً، وقد تكون حقيقيةً، لكنها بعيدةٌ عن ذات الشاعر لا ينطقُ فيها بلسانه، ولا يلونها بنزعاته أو ميوله... فهي من الأدب الموضوعي، وليس لها اتجاهُ الأدب الذاتي، وبالنظر إلى الشعر القصصي مدار حديثنا فهو كما يرى الدكتور ذهني أن الشعرَ القصصى - يُعَدُّ - الآنَ أثراً من آثار الماضي... ثم يستطردُ قائلاً : "وهو شعرٌ شبهُ قومي، لأنه يحكى أخبارَ الحروب والمعارك، ويرسمُ صورَ البطولة والشجاعة، ويتحدثُ عن الفرسان أنصاف الآلهة في أسلوب بسيطٍ دارجٍ، وفي أحداثٍ ساذجةٍ خرافيةٍ، وإن كانت ترتبطُ بالتاريخ القومي، وتستندُ إلى بعض الأحداث الحقيقية" [2].

أما عن تقسيمه فإنه ينقسمُ إلى الملحمة هذا بالإضافة إلى القصة الشعرية

١- الدكتور محمود ذهنى : تذوق الأدب ص ٩٦ مكتبة الأنجلو المصرية.

٢- الدكتور محمود ذهني : المصرد السابق ص ٩٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .

٣- الدكتور محمود ذهني : المصدر السابق ص ١٠٠- مكتبة الأنجلو المصرية.

محور حديثنا إذ يقولُ الدكتور محمود ذهني فيها إنها تكونُ قصيرةً بالقدرِ الذى يمكنُ حكايتها في جلسةٍ واحدةٍ وعلى هذا فإنها تشتملُ على مغامرة واحدةٍ صغيرةٍ علي جانب واحدٍ من قصةٍ من قصةٍ طويلةٍ أو سيرة من السير الشعبية [٣] والحقُّ نقولُ إن شعرَ ذاخرٌ بكلٍّ ما ذكرناه جميعاً حيثُ رأينا الغناءَ، ورأينا القصصَ عندما كان الشاعرُ يحدثنا عن مغامرات الحب الفاشلة، أو حينما كان الشاعرُ يرثى ويستعبر . وفي ظلال الرثاء كان الشاعرُ يسردُ واقعةً من الحياة وكان يطيل بل يعنى بالتفصيل والتحليل، ويظل يتتبع الشخوصَ فيها، ويهتمُ بتطورها حتى ينتهي إلى النهاية التى أرادها القدرُ. والبكريون بوجه عامٍ خاضعون أمامَ القدرِ دائماً فكانت القصةُ هي الأداة التي يصبُّ فيها تعبيره وحزنه الجم.

مهما يكنْ من أمر فإننا لو نظرنا إلى القصة الشعرية عند الأطفال من الناحية الفنية فلا نقولُ أكثرَ من أنها مذهبٌ كان يقصدهُ الشاعرُ على تعمدٍ من عنده، فكان يتخيلُ الحادثةَ، وهو واعٍ لها حيثُ إنه يحدثنا بها، وهو مستيقظ إلى كلِّ شئٍ فيها، وينتهى منها حسبما يحب - المهم في ذلك كله إنكار الذات تماماً- أى يختفى الشاعرُ منها- فلا يُحدِّث عن نفسه واصفاً أو محللاً لها حتي تسيرَ الأحداثُ مع الشخصيات في جوٍ من الانفعال مما يكسيها بالحبكة القصصية فيبعد الحادثةَ عن نطاق الغناء، ويدخلُها في دائرة القصة الشعرية.

والآنَ آنَ لنا نتحدَّثَ عن القصة المنظومة في شعر الطفل- بداية نُسائل أنفسنا فنقول : ما حظُّ القصة المنظومة من المقومات الكاملة؟ اعتقدُ ما اتفقَ اثنان تقريباً على هذه المقومات، فكلما جاءَ واحدٌ فوضعَ تعريفاً أعقبه آخر فهدم أسوارَ هذا التعريف، ثم راحَ يقيمُ على أنقاضه تعريفاً لا يقلُ فهماً عن

١- الدكتور محمود ذهنى : تذوق الأدب ص ١٥١.

السابق، وهكذا دواليك. على العموم فالكلُّ له وجهةُ نظرٍ خاصةٍ، حيثُ إن فهمنا للقصة، وأخذنا بها ليس واحداً . كما أن اختلاف أمزجتنا، وتباين طبائعنا لا يجعلنا نتفقُ علي شئ فقد نرجحُ أمراً على حين لا يجدُ قبولاً عند غيرنا. ونعود إلى الدكتور محمود ذهني فنراه يقولُ : يكادُ يتفقُ الجميع علي أن البناء القصصيَّ له عناصرُ أساسيةٌ لا تخلو منها قصةٌ أو معظمها على الأقل. وهي:

أ- الأحداث ب- الشخصيات

جـ- البيئة أو الوسط د- الحبكة القصصية أو العقدة[1] وحلها

وهذا هو الدكتور على عبدالحليم يدور في فلك المعنى السابق قائلاً :

ولقد تعارفَ النقادُ على أن كلَّ قصةٍ لا بدَّ فيها من الحدث والسرد والبناء، والشخصية والزمان والفكرة وهي عناصر رئيسيةٌ، استطيعُ القول بأنها وُجدَت في القصة الجاهلية [1].

وذاك هو الأستاذ "محمود عباس"" يري أن أهم مميزات القصة الحادثة أو العقدة والشخصيات الممتازة حينَ تُحَلَّلُ نفسياتها، وتُدْرَسُ أخلاقها [2]

وهكذا دون أن ننتهى على شئٍ نقفُ عليه، ونعتمدُ عليه لنلمسه في كلِّ قصة نقرأها علي أننا إذا نظرنا إلى المسألة من جانبنا فسنرى أن "فنيةَ القصة تقومُ على أربعة أشياء ألا وهي المقدمات التى طرحناها نقلاً عن الدكتور محمود ذهني " الأحداث أو الوقائع. ونقصد بها قيام القصة على حوادثَ مرتبطة بواقع الحياة إلى سواء أكانت واقعية أم خيالية، وإذا التمسناها تخيلاً كانت أو حقيقية في شعر الطفل وجدناها واضحةً تماماً ولنا أن نحسها في دندوش العجيب

١- الدكتور علي عبدالحليم : القصة العربية في العصر الجاهلي ص ٣٧٦ - دار المعارف.

٢- الأستاذ محمود عباس : نشوء القصة وتطورها ص ٣٧ المطبعة السلفية بدون تاريخ.

حيثُ يقولُ كامل الكيلاني فيها:

أيهـــا الرفـــاق
أيهـــا الأصحاب
لا تصـــدقوا
"دندش" الكـــذاب
غـــاق غـــاق غـــاق

*****

أيهــا الأحبـاب أيها الرفــاق
كل تعـــلب طبعـه النفـــاق
وثــلاث مـــن عـــالى الشجر
مرتفعـــات فـــوق النـــهر
فهنـــا شجرة، وهنـــا شجرة
وهنا ثالثـــة الأشـــجار

هذا صيـاد :

هـــذا رجـــل أقبـــل يجـــرى
هـــذا صيـــاد أقبـل يصطاد
قـــل للأرنب أســـرع وأجـــر
يـــدركه؟ مـــن ذا يـــدرى؟!
وسـط الغـابة نهرى يجـرى
وثـــلاث من عـــالي الشـــجر
مرتفعـــات فـــوق النـــهر
فهنـــاك شـــجرة ، وهنـــاك شـــجرة

وهنـــا ثـــالثـة الأشـــجار

نجـاة الأرنب :

ســمع الأرنب عند الجسـر
صوت رصاص فمضى يجري
حـظ نجـاة من عـند اللـه
نجى الأرنب طـول العمـر
وسـط الغـابة نهـر يجـرى
وثلاث من عـالى الشـجر
مرتفعـــات فـوق النهـر
فهذى شجرة ، وهنا شجرة
وهنـا ثالثـة الأشـجـار

وراء الشـجر :

هرب الأرنب ومضى يجري
خلف الأشجار بين الأزهـار
أين سيذهب؟ أنـا لا أدرى؟
أنا لا أدرى أنـا لا أدرى

* * * * * *

وســط الغابة نهر يجـري
وثلاث من عـالى الشـجر
مرتفعـــات فوق النـــهر
فهناك شجرة، وهنا شـجرة
وهنـا، ثالـثـة الأشـجار

والقصة الشعرية السابقة تخلو تماماً من الصعوبة اللغوية، فالألفاظ المستخدمة فصحى ميسرة دالة على المعانى التى يقصد إليها الشاعر، والمفردات مألوفة تلائم مدارك الأطفال، وقد استخدم الشاعر موهبته القصصية في نسخ أحداث القصة الشعرية، حيثُ استهل (قصة أرنب) بقولة:

اسمع منى ما أحكيــه   أســمع قولــى فكر فيــه

فهو ينبه الأطفال إلى البدء في الحكاية أو بدء القص على عادته في الأسلوب القصصى كى يتدبر الأطفال أحداث قصة الأرنب مع الصياد، ثم يصف الشاعر الغابة والجسر والطقس ليمهد للأطفال كيف خرج الأرنب والصياد على هيئة محاورة وأهم مايميز (قصة أرنب) جمال الوصف وبراعة الشاعر في تبسيط المعجم الشعرى ونقل أماكن الأحداث أمام مخيلة الأطفال في دقة وسهولة. كما طرح الشاعر أمام الأطفال إمكانية أعمال الخيال وحسن التصرف في المواقف الصعبة عندما نجم الأرنب بحسن الحيلة في الهرب من الصياد، وبالرغم من طول أبيات القصة الشعرية إلا أن قصة الجملة الشعرية الدالة، وقدرة الشاعر على تتابع الأحداث وانسياب المفردات وعدم تعقيدها، واستخدام البحر المتدارك - كلها عوامل- ساعدت على عدم الإحساس بالملل.

كتب أخري للمؤلف

١- تاريخ الخط العربي وأنواعه. (مكتبة محمد حلمي -١٩٩٩م)
٢- دراسة في مسرح الطفل ونصوصه. (مكتبة محمد حلمي -١٩٩٩م)
٣- في الشعر الجاهلي وقضاياه. (دار القلم -١٩٩٦م)
٤- لبنة أساسية في الأنشطة الطلابية. (نبراس-الرياض-١٩٩٧م)
٥- موجز القلم في رسم القلم. (مطبعة الضوي-١٩٩٨م)
٦- في الأدب واللغة والنقد. (دار القلم -١٩٩٦م)
٧- أشعارُ بكرٍ في الجاهلية، وصدر الإسلام (جمع وتحقيق ودراسة) رسالة جامعية حصل بها المؤلفُ على درجة الدكتوراه في الآداب سنة ١٩٩٥م. (تحت الطبع)
٨- أشعارُ الحارثِ بن كعبٍ في الجاهليةِ حتى نهايةِ القرنِ الأولِ الهجري (جمع وشرح وتحقيق ودراسة دلالية). (تحت الطبع)
٩- أشعارُ حمير في الجاهلية (جمع وتحقيق ودراسة) رسالة جامعية حصل بها المؤلفُ على درجة الماجستير سنة ١٩٨٩م). (تحت الطبع)
١٠- أشعار بني كلب في الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري (جمع وشرح وتحقيق ودراسة). (تحت الطبع)
١١- بين شعر المرقشين (دراسة فنية موازنة). (تحت الطبع)

رقم الإيداع ٩٩/٥٤٨٦
الترقيم الدولي I . S . B. N.
977-5925-0002